مصر العربية سنوات المخاض

الصراع بين الفرعونية والعروبة والاسلامية

الدكتورة عواطف عبد الرحمن

عروبة .. بلا انتماء سياسي

● ليس انتماء مصر العربى موضع شك فهى قد اخذت اللغة العربية فى اعقاب الفتح العربى ، وتحولت بالتدريج الى الاسلام كما وفدت اليها على مر العصور كثير من القبائل العربية التى امتزجت بمضى الوقت بسكانها وتبنت من خلالها كثيراً من العادات والتقاليد واساليب الحياة العربية التى اصبحت جزءا لا يتجزء من الحياة العامة للمجتمع المصرى بالاضافة الى الدور الهام الذى لعبته مصر فى نشر واثراء وتطوير الثقافة العربية وبخاصة بعد قيام جامعة الازهر فى القرن العاشر الميلادى وسقوط بغداد فى ايدى التتار فى اواسط القرن الثالث عشر (١) ولازالت مصر منذ القرن التاسع عشر وبعد قيام الدولة الحديثة تمثل الركيزة الاساسية لحركة البعث الفكرى والثقافى فى العالم العربى ، ولكن التيار العربى فى مصر لم يصبح انتماء سياسيا ، وفكريا على النطاق الشعبى ، والرسمى سوى فى نهاية الحرب العالمية الثانية « بداية الابعيتات من هذا القرن » (٢) ويرجع ذلك الى عوامل عديدة بعضها ذاتى والاخر موضوعى .. وفيما يتعلق بالعوامل الذاتية فهى تتضمن :

● النمو التاريخى المتميز الذى انفرد به المجتمع المصرى ، فالاستقلال الذى حصلت عليه مصر طبقا لمعاهدة لندن ١٨٤٠ قد اعطاها شخصية متميزة عن سائر البلدان العربية الاخرى الخاضعة للحكم العثمانى المباشر .. كما ان نمو الدعوة السياسية الى فكرة القومية المصرية بشعاراتها ورموزها التاريخية وخاصة محاولة بعث الفرعونية .. كل ذلك ادى الى اعاقة التيار العربى فى مصر .

● غلبة التيار الاسلامى على التيارات الفكرية الاخرى التى سادت المجتمع المصرى منذ نهاية القرن الثامن عشر .

اما العوامل الموضوعية تتمثل فى :

● الدور الذى قام به الاستعمار الاوروبى فى عزل مصر عن العالم العربى منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف اثقرن العشرين .

● مسئولية العرب فى عدم اشراك مصر فى قضاياهم القومية .

● الدور السلبى الذى نجم عن تفاعل نمو صحى بين السوريين والمصريين ابان اقامة لاولين فى مصر هربا من الاضطهاد العثمانى

وسنتناول بالتفصيل كل عامل من هذه العوامل على حدة .

ففيما يتعلق بالعامل الاول الذى يتمثل فى التطور التاريخى المتميز للمجتمع المصرى منذ مجىء الحملة الفرنسية ، التى تمثل اول احتكاك عنيف بالحضارة الغربية فى العصر الحديث وما افقها من قيام الدولة المصرية الحديثة فى عهد محمد على ، وقد ساعد هذان الحدثان على سرعة انهيار النظام الاقطاعى فى مصر وبدء ظهور الدعوة السياسية للقومية المصرية بمفاهيمها الحديث ونشوء الطبقة الوسطى التى تولت النضال الوطنى طوال تلك المرحلة الماضية .. فالحملة الفرنسية وجهت الضربة الاولى الى الاقطاع فى شكله الاقتصادى « نظام الالتزام وتعدد الضرائب » وفى شكله السياسى والعسكرى متمثلا فى جماعة البكوات والمماليك .. ثم جاء محمد على فالغى نظام الالتزام كما تخلص نهائيا من المماليك سنة ١٨١١ وبذلك قضى نهائيا على بقايا الاقطاع فى مصر (٣) واخذ يبنى مصر على اساس المركزية المطلقة وهى ابرز سمات الدولة الرأسمالية .. ومن الناحية الاقتصادية بدا يوجه الاقتصاد المصرى للانتاج الخارجى اى للتصدير بدلا من الانتاج الاقطاعى القائم على الاستهلاك . وقد كان من الطبيعى ان تؤدى هذه التغيرات الاقتصادية والسياسية « التى تشير الى تحول المجتمع الاقطاعى الى مجتمع تسوده العلاقات الرأسمالية » بفعل الدولة الى تغيرات اجتماعية وفكرية ايضا .. فقد اختفت طبقة المماليك اختفاء تاما من الحياة المصرية وحل محلها كطبقة اجتماعية فئة ارستقراطية تركية هى طبقة كبار الموظفين فى دولة محمد على وهى التى احتكرت كافة المناصب العسكرية الكبرى ومعظم المناصب المدنية والتى منحت اقطاعات كبيرة هى « الانعاديات » . وبجانب هذه الطبقة تكونت الطبقة الوسطى من المصريين الذين استعان بهم محمد على فى بناء دولته سواء فى المناصب الصغيرة فى الجيش او الدولة واقطعهم اراضى زراعية .. فقد انتهى الامر بهؤلاء المصريين فى اواخر القرن التاسع عشر الى ان اصبحوا **يمثلون البورجوازية المصرية وهى التى قادت الكفاح الوطنى ضد الاتراك والتدخل الاوربى ابان الثورة العرابية (٤) ، كما حملت لواء الحركة** الوطنية ضد الاستعمار الاوروبى منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين وقد واصل محمد على محاولاته لتغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المصرى وتغيير مسار مصر السياسى بالعمل على اخراج مصر من نطاق الولاية التابعة للسلطة العثمانية الى شبه دولة ذات استقلال ذاتى وذات قوة عسكرية وسياسية واقتصادية يشعر بها العالم وتحسب لها اوربا والسلطنة حسابا .. وقد خاض من اجل ذلك حروبه فى بلاد الشام (١٨٣٢ — ١٨٤٠) والتى ينظر اليها بعض المؤرخين على انها محاولة لبناء دولة عربية كبرى .. والواقع ان دوافع محمد على فى حملته على الشام لم تكن قومية **عربية رغم تصريحات ابنه ابراهيم باشا ، وتقارير القناصل الاجانب التى كانت تؤكد ان فكرةالوحدة**

● **المصريون جاءوا من آسيا وهم أدنى إلى العرب من القدم.. حيث اللون والخصائص السامية والقومية**

■ مكرم عبيد

● **الفرعونية: ليست جنسًا من أجناس البشر ولكنها عصر من عصور الحكم**

■ محمد علوبة باشا

العربية كانت مختمرة فى ذهن محمد على وابنه ابراهيم .. ذلك ان حملات محمد على فى بلاد العرب وقلب افريقيا وفى اوربا كانت تهدف بالقطع الى بناء دولة كبرى ولكنها ليست دولة عربية .. وحروب محمد على بالاضافة الى بناء جيش قوى واسطول ضخم ، وارسال البعثات التعليمية الى اوربا ، كل هذه النشاطات كانت تحركها تطلعات محمد على لبناء دولة تجسد طموحه الشخصى .. فضلا عن انه كان يرفع شعارات كاذبة عن تطلعاته لبناء دولة عربيةكبرى تسهيلا لتحقيق أهدافه فى الفتح ، وهناك عدة ادلة على ذلك ابرزها انه بعد هزيمته فى الشام واغراق اسطوله تراجعت أطماعه الى مجردفرمان من السلطان العثمانى يضمن بقاء حكم مصر وراثيا فى أسرة محمد على ، وكان له فى نهاية المطاف ما أراد .. فضلا عن اعتماده فى حكمه لمصر على الاجانب من الاتراك والمماليك والارمن وغيرهم من الاوربيين ، وخاصة بعد أن قضى على الزعامات الشعبية فى مصر ، وانشأ محمد على كما سبق أن عرضنا طبقة ارستقراطية جعلها صفوةالمجتمع وهى طبقة تركية تولت قيادة البلاد اداريا واجتماعيا . وتميزت هذه الطبقة بانفصالها الكامل عن المجتمع المصرى بل وتعاليها على سكان مصر الاصليين الذين كانوا يعتبرونهم مجتمعا من الفلاحين (٥) .

وقد وفرت معاهدة لندن ١٨٤٠ الاطمئنان للراسمال الاوروبى . كما أن الاجانب عامة وجدوا فى طبيعة حكم محمد على نفسه القائم على العناصر الاجنبية وفى تشجيعه وحمايته لهم ما يغريهم بالقدوم الى مصر فتضاعف عددهم أكثر من أربع مرات ما بين عامى ١٨٤٦ — ١٩١٧ . وقد تمكن الاجانب بفضل هذه الامتيازات التى قدمتها لهم اسرة محمد على من السيطرة على الحياة الاقتصادية فضلا عما كانوا يتمتعون به من نفوذ اجتماعى وثقافى .. مما ترتب عليه تعاظم الدور الذى أصبح يلعبه الغرب فى الحياة العامة المصرية . ومن الملحوظ ان **معاهدة لندن ١٨٤٠ قد ساعدت على عزلة مصر سياسيا عن العالم العربى فى الوقت الذى كرس فيه محمد على نظاما استبداديا يستبعد العنصر الوطنى ويعادى الثقافة العربية ويستند الى ارستقراطية تركية وخبراء أوربيين وثقافة وتعليم اجنبى (٦) مما يؤكد ان العروبة او الفكرة العربية لم تكن واردة بالنسبة لمحمد على اثناء فتوحاته وحروبه فى بلاد العرب** .. وان كان هذا لم يمنع وجود مثل هذا التفكير لدى ابنه ابراهيم الذى كانت

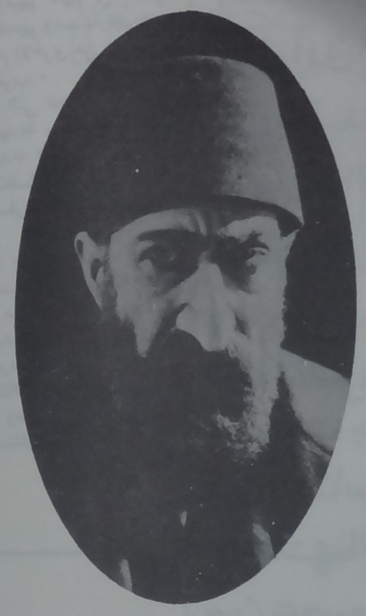

السلطان عبدالحميد — فرمان يضمن الحكم وراثياً في أسرة محمد علي

تسانده القوى الجديدة التى تربت فى المدارس الحديثه .. والبعثات .. والجيش الوطنى . **وجهاز الدولة الجديد ، وهم الذين كانوا يرون ان** الفتوحات المصرية يجب أن تقف عند آخر نقطة يتحدثون فيها بالعربية (٧) .

اعلام الوطنية ورايات القومية

كان السبب المباشر فى قيام الحركة التحررية **المصرية هو تغلغل النفوذ الاوروبى المالى والسياسى فى أواخر عصر اسماعيل ...** وكانت هذهالحركة تستند على الطبقة البورجوازية المصرية بجناحيها العسكرى والمدنى .. وقد عبرت عن نفسها بحدثين بارزين فى تاريخ مصر الحديث ، أولهما تأليف الحزب الوطنى القديم (١٨٨١) وقد تجلى ذلك بوضوح فى برنامجه الذى ينص على (الحزب الوطنى حزب سياسى لا دين له نائب مؤلف من رجال مختلفى العقيدة والمذهب وضع النصارى واليهود وكل من يحترث أرض مصر ويتكلم بلغتها لانه لا ينظر لاختلاف المنتدات ويعلم أن الجميع اخوان وان حقوقهم فى السياسة والشرائع متساوية) (٨) .

أما الحدث الثانى فهو يتمثل فى أول حركة رفض قام بها الضباط المصريون بزعامة أحمد عرابى ضد سيطرة العناصر الاسلامية الاخرى من الاتراك والشراكسة وغيرهم على الجيش المصرى واستئثارهم بالمناصب القيادية والمرتبات الضخمة ، وحدث أول تآزر بين الشعب والعسكريين فى مظاهرة فبراير (شباط) ١٨٧٩ التى اقيلت على اثرها وزارة نوبار . ثم تفجرت

الثورة العرابية التى تجسدها مظاهرة الجيش فى سبتمبر ١٨٨١ . وقد كانت قوى الثورة تضم خليطا من الاتجاهات الفكرية فهناك العناصر التى كانت تنتمى للازهر وقد كانت تتطلع الى انشاء خلافة عربية اى دولة ذات طابع دينى .. كما كانت هناك عناصر اخرى داخل الثورة كانت تطالب بجمهورية او دولة عربية فى اطار الانفصال النهائى عن الخلافة سواء عثمانية ام غير عثمانيه (٩) .

على أن أهم شعار رفعته الثورة فى هذه المرحلة بمختلف أجنحتها الفكرية والطبقية ، هو شعار مصر للمصريين ورغم انه لا يباور فلسفة قومية متميزة ولكن رفعه كأحد شعارات الجيش فى بدء حركته ضد السيطرة التركية والجركسية كان احد الاسباب التى ادت الى اتساع هذه الحركة والتفاف عديد من القوى الاجتماعية حولها وقد اختلف المؤرخون فى تحديد موقف الثورة العرابية من الفكرة العربية فهناك من يرى أن ثورة عرابى كما أسلفنا كانت تضم اتجاهات اسلامية عربية استنادا الى المعلومات التى بعث بها المستشرق الاوروبى دوفيريه الى مستر برودلى المحامى البريطانى الذى تولى الدفاع عن عرابى وتتضمن اتهام عرابى بأنه كان على صلة وثيقة بالحركة السنوسية فى ليبيا وهى الحركة المعادية للخلافة العثمانية والاوربيين والتى كانت تتميز بالطابع العربى الذى يخلط بأساس اسلامى لا يتعارض مع العروبة .. والمرجح أن الثورة العرابية لم تكن تخلو من الاتجاهات العربية التى ظهرت جنبا الى جنب مخلطة بالاتجاهات الاسلامية وهو أمر واضح فى مجتمع كانت تسوده الافكار السلفية ، على أن **الثورة العرابية نجحت فى اجتذاب تأييد الرأى العام الشعبى فى العالم العربى فى تونس وفلسطين وسوريا والسودان حيث انفجرت فى هذه الاقطار المظاهرات الصاخبة ضد احتلال القوات البريطانية لمصر وتضامنا مع عرابى ورفاقه الذى هزمت ثورته .. وقد بلغ الامر ان المهدى عرض على الانجليز استبدال جوردون قائد الحملة البريطانية الاسير لديه بأحمد عرابى الذى نفى الى سرنديب (١٠) .**

وبعد فشل الثورة العرابية واحتلال بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢ ، أصيبت الحركة المعادية للاستعمار فى مصر بنكسة مؤقتة استمرت حتى ظهور مصطفى كامل حيث انتقلت قيادة الحركة الوطنية الى الحزب الوطنى بزعامته . و تتميز هذه المرحلة بوقوع تناقض بين الدعوة السياسية الى القومية المصرية والدعوة الى القومية العربية ساعدت على ابرازه الظروف الدولية وتتجسد التناقضات داخل المعسكر الاستعمارى .. اذ شهدت هذه المرحلة ظهور التناقضات الكامنةبين **الاستعمار التركى الذى كان على وشك الاحتضار والاستعمار الاوروبى الذى كان يتهيأ كى يرث مناطق النفوذ العثمانية فى المنطقة العربية ..** كذلك شهدت هذه المرحلة اكتمال مقومات كل من الدعوة للقومية العربية التى كانت تتهيأ لمقاومة الاضطهاد التركى والقومية المصرية التى تعد الثورة العرابية أبرز تجسيد لها داخل معسكر التحرر الوطنى (١١) ..

وكان التناقض الرئيسى بين معسكر الاستعمار (التركى والاوروبى) من ناحية ومعسكر التحرر الوطنى (العربى المصرى) من ناحية اخرى . ولكن الظروف الموضوعية التى احاطت بالقضية المصرية محليا ودوليا فى ذلك الحين فرضت على الحركة الوطنية المصرية رؤيةضبابية اذ انها لم تدرك جيدا طبيعة معركتها ضد الاستعمار الاوروبى ووحدة المعسكر الاستعمارى رغم ما يحويه من تناقضات ثانوية ، ولم تدرك أيضا أن حلفاءها الطبيعيين فى معركتها ضد المعسكر الاستعمارى هم الشعوب العربية ، فاتجهت الى الدولة العثمانية لاكراه انجلترا على الجلاء مستندة على ما لتركيا من حقوق دولية فى مصر تكفلها معاهدة لندن ١٨٤٠ والفرمانات المؤكدة لها ...

هذا فى الوقت الذى كانت الشعوب العربية تغلى تحت الحكم العثمانى ، وكانت حركة الثورة العربية فى مرحلة التبلور لمواجهة مساوىء الحكم العثمانى . فالصراع القومى كان يدور أساسا ضد دولة الخلافة بينما فى مصر كان موجه ضد بريطانيا .. ففى الوقت الذى كان احرار العرب يتآمرون ضد السلطان عبد الحميد تساندهم وتشجعهم انجلترا . كان مصطفى كامل زعيم الحركة الوطنية فى مصر يتفانى بمزايا السلطان ويصفه بانه .. « اعظم سلطان جلس على اريكة آل عثمان » ، وقد ندد مصطفى كامل بالامراد القلبليين الذين قاموا من المسلمين ضد جلالة السلطان الاعظم .. كما هاجم فكرة الخلافة العربية باعتبارها فكرة انجليزية واعتبر الثوار العرب ضد السلطان « من الخوارج والمفونة » (١٢)

أما حزب الامة فقد لخص موقفه من المسألة العربية على لسان مفكره لطفى السيد الذى كتب فى « الجريدة » تحت عنوان المسألة المصرية يقول « العرب اكثرية فى بلاد الدولة العثمانية ، لذلك لا تستطيع ان نفهم وجود مسألة عربية تستلفت النظر فى حلها .. وليس هناك بمسألة عربية ، ولكن هناك قلقا فى نفوس كثير من العرب ... لذلك نقول اذا كان هناك للمسألة العربية محل من الوجود فان وجودها الان سابق للاوان جدا ولئن كان للمسألة العربية ظل من الوجود فحتها بيد العثمانيين من غير مضارة احد (١٣) .

ومن هنا يتضح لنا أن موقف حزب الامة من المسألة العربية لم يختلف عن موقف الحزب الوطنى الا بمقدار ما يختلف الحزبان ايديولوجيا لذلك نلاحظ أن لطفى السيد يسوى بين الجامعة الاسلامية ، والاتحاد العربى ، ويرفضهما معا اذ يقول .. « لدينا وسائل العمل لمصلحتنا فلا يعوزنا الذكاء ولا الوطنية ، ولكن يعوزنا شيوع الاعتماد بان مصر لا يمكنها ان تتقدم اذا كانت تجبن عن الاخذ بمنعها ، وتتواكل فى ذلك على اوهام يسميه البعض (الاتحاد العربى) ، يسميها الاخرون الجامعة الاسلامية (١٤) ... وقد ساعد هذا المناخ على نشوء الدعوة الى الحركة القومية المصرية باطارها الفكرية المعروفة وهى الاطار الفرعونى ، واطار الحضارة المتوسطية وتتفق جميعها فى حصر مصر داخل حدودها الطبيعية وقد كانت هذه الدعوات تمثل التعبير الفكرى ، السياسى للنمو الذاتى الخاص الذى اخذت تسير فيه مصر مستجيبة لما فرض عليها من عوامل الحصار ، وظروفه . (١٥)

كما ان غلبه التيار الاسلامى كان سببا آخر لتعويق مسيرة مصر الى العروبة ، ويرجع ذلك الى عدة اسباب ابرزها ان **الفتح العربى لمصر كان فتحا اسلاميا** ، ولم يكن عربيا ، يضاف الى ذلك أن ظهور **البورجوازية المصرية** فى منتصف القرن التاسع عشر ان كان قدارتبط فىداخل مصر بنشوء الدعوة الى فكرة القومية المصرية لكنه وفى ذات الوقت ارتبط بدعوة الجامعة الاسلامية التى تمثل اول تعبير عن البورجوازية العربية فى تكاتفها مع البورجوازية التركية ، والاقطاع التركى ضد

الاستعمار الاوروبي (١٦) وقد ترتب على ذلك تراجع الاعتبارات القومية الاخرى امام القومية الاسلامية وحتى بعد استكمال القومية العربية لمقوماتها ظلت الفكرة الاسلامية تختلط في بادىء الامر بالفكرة القومية العربية . وتكون ما يمكن تسميه بالفكرة العربية الاسلامية .

هذا بجانب عامل ثالث وهو انه **رغم انتشار الاسلام على** ايدى العرب في مصر ولكن السيادة العربية لم تستمر بل انتقلت الى عناصر اسلامية اخرى مثل المماليك . والعثمانيين . وكان الاحساس السائد في مصر هو الاحساس الاسلامي . وليس الاحساس القومي . علاوه على ذلك المعنى الذى **احاط بكلمة عرب بين الناس لاسيما في مصر . والذى كان من اهم العوامل التى ادت الى تباعدهم عن الفكرة العربية لان الناس صاروا يستخدمون هذه الكلمة للدلالة على البدوى غير المتحضر فاخذوا يعتبرونها مقترنة بالتاخر والهمجية مما استوجب تنصل المتحضرين من العروبة . وابتعادهم عنها .**

وجاء الاستعمار الانجليزى لمصر ليكون عاملا مؤثرا في اتجاه عزلها عن العرب فقد رسخ الانجليز اقدامهم في مصر ومنذ اليوم الاول لقدومهم سنة ١٨٨٢ : الغوا الجيش الوطني وأسسوا جيشا جديدا هزيلا بقيادة انجليزية ، وألغوا القوانين والانظمة القديمة ووضعوا رقابة شديده على المالية والغوا الدستور القديم . وحرموا مجلس شورى القوانين ، والجمعية العمومية من صلاحياتها . وانتزعوا من مصر حقوقها في السودان . وسحبوا جيشها منه ، وعمموا اللغة الانجليزية على حساب العربية . واهملوا برامج التعليم الوطني . واغتنمت بريطانيا الفرصة حينما اندلعت الحرب العالمية الاولى (اغسطس-آب- ١٩١٤). وفرضت الحماية على مصر ، **وخول القرار للقوات البريطانية حق استعمال مصر كقاعدة اثناء الحرب،** واعلنت الاحكام العرفية ، ووضعت الصحف تحت الرقابة . ولا شك **ان كل هذه العملية بتعقيداتها السياسية والاجتماعية قد شغلت مصر عن التفكير في اية قضية اخرى خارج نطاقها القطرى . هذا بالاضافة الى ما عمدت اليه بريطانيا من جعل قضية مصر تختلف موضوعيا عن قضية المشرق العربى ،** فبينما كانت الحركة الوطنية في مصر (حركة الحزب الوطني برعامة **مصطفى كامل**) تكافح ضد السيطرة الاوروبية وتتطلع الى تاييد ومساندة الدولة العثمانية كانت بقية الشعوب العربية في المشرق العربي تكافح في سبيل تحررها من السيطرة العثمانية . وتتطلع الى تاييد الدول الاوروبية . **فاعداء مصر كانوا حلفاء الحركة القومية في المشرق العربى ، واعداء الاخيرة كانوا حلفاء مصر .**

ونتيجة لذلك لجأت الحركة الثورية العربية المعادية للدولة العثمانية الى الدول الاستعمارية الاوروبية (انجلترا وفرنسا) التى احتضنتها وشجعتها . فمن المعروف **ان بعض الجمعيات العربية في بلاد الشام كانت على صلة بالقنصل الفرنسي ببكو في بيروت كما ان جمعية اللامركزيه كانت على صلة بكتشنر المعتمد البريطاني في مصر ،** وقد انعقد حرب اللا مركزية الذى تكون سنة ١٩١٢ مقره في القاهرة بتشجيع من السلطات البريطانية التى رحبت بهذا النشاط الموجه ضد الدولة العثمانية ، ولكنها اشترطت في ذات الوقت ابتعاده عن القضية المصرية ، وان ينحصر في بحث قضايا العرب في الولايات العثمانية (١٨) ، كذلك ساندت بريطانيا الشريف حسين للقيام بثورته ضد العثمانيين في منتصف عام ١٩١٦ . وقد تم ذلك بعد مراسلات طويلة بين الشريف حسين وسير هنرى مكماهون المعتمد البريطاني في مصر امتدت من يوليو (تموز) ١٩١٥ - يناير ١٩١٦ . وفي ذات الوقت كانت **بريطانيا** تجرى مفاوضات سرية مع فرنسا لتقسيم المنطقة العربية بعد انهيار الدولة العثمانية وقد **اسفرت هذه المفاوضات عن اتفاقية** سايكس بيكو في مايو (آيار) ١٩١٦ . ولم تكتف بريطانيا بذلك بل عمدت من أجل كسب الصهيونية العالمية الى جانبها الى ارضاء اليهود على حساب العرب فاصدرت تصريح بلفور في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ تعهدت فيه لزعماء الصهيونية بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وبانتهاء الحرب العالمية الاولى وسقوط دولة الخلافة التى كانت محور الدعوة للجامعة الاسلامية سقطت معها استراتيجية التعلق بالدولة العثمانية في مصر ، وفي الوقت نفسه سقط تحالف العرب مع بريطانيا بعد ان كشفت حقيقة نواياه وطمعت الحركة العربية بالتقسيم ووعد بلفور .. فقد مزق الاستعمار الاوربى وحده بلاد الشام التى كانت في العهد العثماني وحده سياسية وجغرافية وأقام بينها حواجز سميكه . وقسم المشرق العربى لاول مره الى وحدات سياسية صغيره فلسطين ، ولبنان ، وسوريا ، وشرق الاردن ، والعراق (١٩) . ولاشك ان هذا التقسيم قد ساعد على خلق مصالح محلية اصبح مصيرها مرتبطاً ببقاء هذه الوحدات المنفصلة كما ساعد على تنمية النزعات الاقليمية ، وهذا هو ما كان يهدف اليه الاستعمار من أجل الهاء المركز الوطنية داخل هذه الوحدات السياسية بقضاياها المحلية والكفاح من أجل تحررها الذاتي .

المسئولية العربية عن النزعة القطرية

وعند تقييم الظروف التاريخية التى أدت الى اندثار مصر عن الميدان العربى طيلة القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نلاحظ ان العرب خارج مصر يتحملون جزءا رئيسيا من المسئولية مماثلا لمسئولية المصريين ومسئولية الاستعمار الاوربى ذاته . ويرجع هذا الى انشغالهم بقضاياهم الوطنية وبسبب عدم ادراكهم لحقائق عصرهم فهم لم يفهموا حقيقة وحدة الاستعمار ووجوب مجابهته كوحدة . ويلاحظ في تاريخ النضال العربى ضد الامبراطورية العثمانية والذى كان في البداية على شكل جمعيات سرية تكونت منذ ١٨٧٥ تجاهل العرب لمصر . ويمكن تفسير ذلك بالدور الذى لعبه الانجليز في دعم الحركات الثورية ضد السلطان عبد الحميد . وايواء الثوار العرب الهاربين من الامبراطورية في مصر (٢٠) . فمن المعروف وكما اسلفنا ان حماية اللامركزية في مصر كانت على صلة بكتشنر المعتمد البريطاني . وقد تدخل بناء على رغبة الجمعية عن طريق السفير البريطاني في الاستانة للعفو عن عزيز المصرى الذى كان من ابرز المناضلين العرب . وكانت الدولة العثمانية قد القت القبض عليه . وقد استمر ابتعاد مصر عن الحركات العربية حتى ما بعد اسقاط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ ولم يشارك المصريون في مؤتمر باريس ١٩١٣ وهو اول مؤتمر قومي عربى . كذلك استبعدت قضايا مصر عن ابحاث المؤتمر ولم تساهم مصر في مباحثات زعماء الثوره العربية مع المسئولين الانجليز في القاهرة والتى انتهت بالاتفاق على العمل المشترك ضد الاتراك ، واعلن الشريف حسين الثورة العربية في يونيو ١٩١٦ ، ورغم اشتراك مئات الشخصيات السياسية . والعسكرية . والوطنية من العراق . وفلسطين . ولبنان . ولكن بالنسبة لمصر لم يهتم منها أحد باستثناء عزيز المصرى (٢١) ، ولم يكن لمؤتمر المصيبن اثر كبير عند المصريين بل وقفوا منها موقفا عدائيا ورغم ذلك لم تتمكن الصحف المصرية انذاك من مهاجمة الثوره لانها كانت تخضع للرقابة العسكرية . (٢٢) .

ومن الظواهر التى لعبت دورا سلبيا - على صعيد العوامل الموضوعية - في عزلة مصر عن العروبة . السوريون . الذين كانوا من القطاعات الاجتماعية التى نشطت نشاطا بارزا في اواخر عصر محمد علي وما بعد محمد علي اذ كانوا يتومون بدورالوسيط بين الحضارةالأوروبيه من جهة والمناء المصرية من جهة اخرى في مجالات الخدمة الحكومية ، والتجارة والصحافة . وكانت هجرات الشوام تفد الى مصر نتيجة للازمات الاقتصادية . ولا سيما ازمة صناعة الحرير في لبنان . ونتيجة للاضطهادات الدينية على يد الاتراك طوال القرن التاسع عشر (٢٣) . وكان السوريون يشكلون الاغلبية الساحقة من العرب الذين استوطنوا مصر . وكانوا ينقسمون الى فرق ثلاث :

● الاولى يضم احراز العرب الذين هربوا الى مصر لمواصلة نضالهم ضد الحكم العثماني . وخاصة في عهد السلطان عبد الحميد وهؤلاء يمثلون اقلية . وقد تركز نشاطهم وهم في مصر في متابعة نضالهم الوطني ، ولم يحدث لقاء او تعاون بينهم وبين الحركة الوطنية المصرية نظرا للتناقض الذى كان قائما في ذلك الحين بين الحركة الوطنية المصرية . والحركة الثورية العربية .

● أما الفريق الثاني، وهو يضم اغلبيةالسوريين في مصر فقد كان يتكون من الذين لجأوا الى مصر للارتزاق . ولم يهتموا بالعمل في سبيل عقيده سياسية بقدر ما اهتموا بالسعى وراء الرزق .

● وهناك فريق ثالث يمثل الوطنيين السوريين الذين اندمجو اندماجا كاملا في المجتمع المصرى وشاركوا في الحركة الوطنية المصرية . واسهموا اسهامات فكرية بارزه . ويتصدرهم أدبب اسحاق وسليم النقاش ، ونجيب حداد . وشبلى شميل . وفرح انطون . وجورجى زيدان .

حسن البنا: الدين أهم مقومات القومية العربية في نظرة الاخوان المسلمين

وبيدا الدور المعادى الذى قام به بعض السوريين ضد الحركة الوطنية المصرية منذ الحملة الفرنسية . اذ انهم تعاونوا مع الفرنسيين ، وتهافتوا على العمل معهم كما احتفلوا بانتصارات الجيش الفرنسى وعملوا لحساب السلطات الفرنسية ضد العناصر الوطنية ، وفي عهد محمد علي تولى السوريون شئون الادارة والمكاتب والمحاسبة . والترجمة نظرا لما كانوا يتمتعون به من اتقان اللغات الاجنبية ، وفي عهد اسماعيل الذى تطلع الى اعادة تنظيم المجتمع المصرى طبقا للنمط الاوربى استعان بالسوريين على نطاق واسع . وذلك بسبب عجز المصريين الذين يتقنون اللغات الاجنبية عن سد الحاجة . وعندما احتل الانجليز مصر احتضنوا السوريين ، ومنحوهم فرصا واسعة للعمل في الادارة والترجمة . ووصفهم اللورد كرومر في مذكراته بانهم (منحة من السماء) (٢٤) ولم يقتصر دورهم في خدمة الاحتلال البريطاني على تقلد الوظائف الادارية بل مارسوا الرقابة ،

واصدر بعضهم عدة صحف كانت تروج لسياسة الاحتلال ، وتنطق بلسانه باللغة العربية وابرزها « المقطم » .. و « المقتطف» اللتان اصدرهما «فارس نمر » و « يعقوب صروف » .. « واسكندرس مكاريوس » وقد تبنوا آراء الاحتلال ، ودافعوا عنها ، وهاجموا الحركة الوطنية المصرية ، وقد اعرب الشعب المصرى عن استنكاره ، وتفهته على الدور العدائي الذى كان يقوم به فريق من السوريين ضد الحركة الوطنية المصرية ، وتمثل ذلك في افتتاحيات الصحف الوطنية مثل صحيفة « الأستاذ » لعبد الله النديم ، « والمؤيد » للشيخ على يوسف بالاضافة الى المظاهرات التى كان يقوم بها الوطنيون ضد الصحف السورية الموالية للاحتلال ، وقد عبر عبد الله النديم عن ذلك الموقف في مقال شهير جاء فيه .. « اناأخوك قلم انكرنى ، ؟ مالشام ومصر الا توأمان **ابوهما واحد يسوء الاثنين ما ساء احدهما فلم تنافر ابنائهما وانحاز السوريون في جانب بعيد عن المصريين وان ساكنوهم في مصر .. ابراتب عشرون جنيها ببيع المر، منا اخاه ووطنه بل جنسه ودينه ؟ ام بكلمة تفرير نصرف حياتنا في خدمة الاجنبى لنعينه على اخواننا لينتقم منهم بغير ذنب ويجنى على غير جان (٢٥) .**

العروبة تصارع أعداءها

بانتهاء الحرب العالمية الاولى سقطت معظم التناقضات التى كانت تحاصر التيار العربى وتعوق انتشاره فى مصر . اذ ان سقوط **الخلافة التى كانت محور دعوة الجامعة الاسلامية قد ادى الى تقلص التيار الاسلامى الذى كان** مسيطرا فى المرحلة السابقه على اتجاهات الحركه **الوطنيه المصرية . وانتهت استراتيجية التعلق** بدولة الخلافة كما أنكشفت حقيقة بريطانيا بالنسبة للعرب ، وسقط التحالف العربى **البريطانى بعد ان غدرت بريطانيا بالثورة العربية بالتقسيم ، ووعد بلفور ، ثم خضعت معظم الدول العربية للنفوذ الاوربى ونشبت ثورة مصر (١٩١٩) التى كانت فاتحة الثورات الوطنية فى العالم العربى اذ تبعتها ثورات العراق -وفلسطين وسوريا وتونس للمطالبة بالاستقلال ، وقد** ساعدت هذه الثورات على خلق مزيد من التقارب بين البلاد العربية حيث بدأت تتخطى الحواجزالتى **كان الاستعمار الاوروبى يعمل على تدعيمها وتقويتها** ثم برزت القضية الفلسطينية فكانت محور **استقطاب رئيسى للجهود العربية ، وخاصة مصر** حيث تحدد انتمائها النهائى **للعروبة وقضاياها . وقد ظهر اول رد فعل شعبى فى مصر لقضايا العرب سنة ١٩٢٥ حينما نشبت ثورة سوريا ضد السلطات الفرنسية . فقد اهتمت الصحافة المصرية** بابراز انباء الثورة ، **وتاييد حق السوريين فى الاستقلال ، كما قامت حركة تبرعات لمنكوبى الثورة** قادها سعد زغلول بنفسه . (٢٦)

وكانت ثورة ١٩١٩قد انتهت بحدوث عدةتغييرات فى البنيان السياسى والفكرى للمجتمع المصرى نستطيع ان نرصدها على الوجه التالى :

فقد استطاعت من الناحية السياسية ان تلغى الحماية البريطانية بصدور تصريح ٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٢ . وقد اعطى هذا التصريح البرجوازيه المصرية فرصه للتنفس السياسى . وتصدير بعض وظائف الدولة وبالتالى المشاركة فى الحكم ، والاشتغال بالسياسة والعمل الحزبى (٢٧) ، وقد ادى انتعاش البورجوازية المصرية بعد تأسيس بنك مصر الى التطلع خارج حدودها بحثا عن اسواق جديدة فى الدول المجاورة لها . ولذلك نرى طلعت حرب مؤسس بنك مصر يقوم بجولة سنة ١٩٢٨ فى الدول العربية لبحث امكانية فتح فروع لبنك مصر وقد عبرت عن هذا الاتجاه صحيفة السياسة لسان حال الاحرار الدستوريين وهو الحزب الذى كان يجسد مصالح كبار الملاك فى مصر (٢٨) وفضلا عن ذلك فقد أدت الى نشوء احزاب جديدة .. فقد تفتت وحدة البلاد السياسية بعد هبوط المدالثورى الذى اشاعته ثورة ١٩١٩ ، واخذت تظهر تكتلات سياسية هى امتداد لما كان قبل ١٩١٤ مع اختلاف فى التفاصيل مما كان يمليه تطور البلاد خلال الحرب العالمية الاولى . فقد استطاع حزب الوفد بقيادة سعد زغلول ان يجمع الشعب تحت زعامته اثناء الثورة ، واصبحت الحركة الوطنية بقيادته حركة مستقلة بذاتها تحتل مكان الصدارة فى الحياة السياسية المصرية ولكن كان من الصعب عليه أن يستمر فى زعامة كل الفئات التى تصدت للعمل السياسى ، فكان نشوء الاحزاب بعد الثورة امرا طبيعيا ، وقد تأسس حزب الاحرار الدستوريين فى أكتوبر (تشرين اول) ١٩٢٢ . على اساس قومى مصرى استمرارا لحزب الامة، وعلى اكتاف عدد من ذوى الثقافات الاوروبية ، وكبار الملاك (٢٩) ثم تلاه حزب الاتحاد ١٩٢٥ فحزب الشعب ١٩٣٠ .

وعلى الصعيد الفكرى انتهت ثورة ١٩١٩ **بانتصار التيار القومى المصرى الليبرالى وتقلص التيار السلفى (الاسلامى) ، وقد اتخذ الصراع بين هذين الاتجاهين مسارا فكريا اكثر تحديدا عن الفترة السابقة على الثورة ونلحظ انه بينما** كان دعاة الاتجاه الليبرالى ومعظمهم خريجو الجامعات الاوروبية من انصار التيار القومى المصرى كان انصار التيار السلفى ، ومعظمهم من الازهريين اقرب الى الفكرة العربية ، والواقع ان طغيان الفكرة الاسلامية على الفكرة العربية الذى كان سائدا فى نهاية القرن التاسع عشر واوائل العشرين ظل مستمرا (٣٠) ، رغم ان الظروف التى التى احاطت بالعالم العربى بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى قد ساعدت على تنشيط الفكرة العربية فى مصر خاصة قضية فلسطين التى امدتها بدفعة قوية . كما قام تحالف وثيق بين انصار التيار الاسلامى والتيار العربى لتكتلوا لمواجهة التيار القومى المصرى ، وقد ساعد هذا الصراع على سرعة حدوث الاستقطاب بالنسبة للتيار العربى الذى انحاز الى جانب التيار الاسلامى .

وبرغم ان هذه الفترة تميزت بسيادة التيار المصرى فقد ظهرت تيارات فكرية وحدوية أمدت التيار العربى بمدد فكرى ومعنوى ساهم فى تمهيد الطريق امامه وسط التيارات الفكرية الاخرى التى التى كانت تتصارع داخل المجتمع المصرى .

ومن ابرز هذه التيارات الوحدوية التيار الشرقى الذى تجسد فى جمعية الرابطة الشرقية التى اعلن قيامها فى مارس ١٩٢٢ . واهتم اعضاؤها بالقضايا العربية وناصروها على اسس مختلفة . وقد ألفت الرابطة من عدد من المفكرين والسياسيين المصريين ذوى انتماءات فكرية متناقضة ، فقد كان يرأسها مجموعة من انصار التيار السلفى امثال السيد عبد الحميد البكرى ونائبيه الشيخ محمد بخيت ورشيد **رضا والشيخ محمد الفنيمى التلتنازانى مساعدا** عربيا لكاتم السر (٣١) . كما كانت تضم عناصر علمانية مثل اميل زيدان ومحجوب ثابت ومنصور فهمى واحمد شفيق باشا . كذلك ضمت بعض العناصر الموالية للتيار العربى مثل احمد زكى باشا وعزيز المصرى . كما ضمت مصطفى نور الدين مساعدا تركيا لكاتم السر ومحمد رضا قزوينى مساعدا فارسيا لكاتم السر . وقد جاء فى قانون الجمعية (انها جمعية علمية اجتماعية تقوم بترقية الامم الشرقية بالعلم الذى هو اساس كل فلاح وباحكام الروابط بين هذه الامم ، وباحياء حضارة الشرق وارجاعه الى فضائله مع الاخذ بما فى مدنية الغرب من المحاسن التى لا تتنافر مع الروح الشرقية) . كما نصت فى قانونها على ان المحاولات الدينية والمنازعات السياسية خارجة عن حدود وظيفتها (٣٢) .

وقد شكلت الجمعية سبع لجان لمعالجة كل ما يتعلق بامور الشرق والعمل على النهوض به وهى اللجنة التركية اختصاصاتها تركيا الحديثة واسيا الوسطى ، واللجنة الفارسية وتبحث فى شئون فارس وافغانستان وبلوخستان ، واللجنة العربية وتهتم بشئون بلاد العرب وسوريا والعراق واللجنة الهندية واختصاصها شئون الهند والهند الصينية . ولجنة الشرق الاقصى وتبحث فى الهند الشرقية وسيام والصين واليابان ، واللجنة المغربية واختصاصها شمال افريقيا ، ثم اللجنة الافريقية واختصاصها السودان والحبشة وباقى البلاد الافريقية (٣٣) .

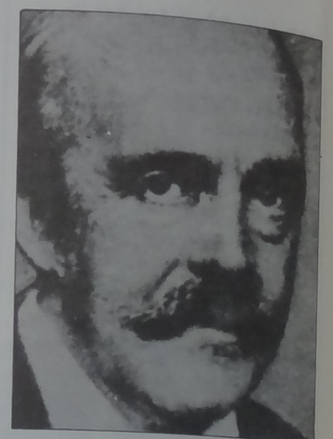

بلفور : وعد بريطانيا بالثورة العربية

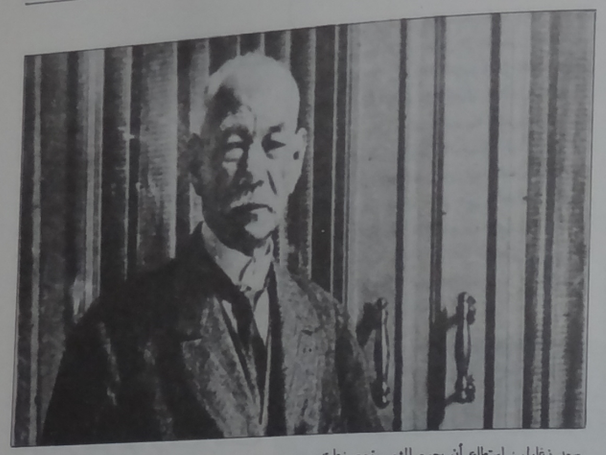

سعد زغلول : استطاع أن يجمع الشعب تحت زعامته

ولنلاحظ من اسماء اعضاء الرابطة الشرقية وانتماءاتهم الفكرية فضلا عن تشكيل لجانها واختصاصاتهم على النحو الذى سبق عرضه ان الدافع الى انشائها لم يكن فكرة الجامعة الاسلامية ولا الفكرة العربية ايضا، فان تنوع اتجاهات اعضائها علاوة على ماجاء على لسان مجلتها من ان **الدافع الى انشاء الجمعية هو شعور ابناء الشرق** بافتقارهم الى جمعية تؤلف بينهم وتربط شعوبهم **وتعمل على اعلاء كلمتهم (٣٤) . يشير بوضوح الى ان الفكرة الشرقية فحسب هى التى** كانت الدافع الاساسى هذه الجمعية وقد ساعد تشكيل الرابطة الشرقية على هذا النحو باعتبارها تضم خليطا من ذوى الاتجاهات الشرقية والاسلامية والعربية المصرية على ان تلقى التشجيع والارتياح من جانب قطاعات كبيرة من المثقفين ورجال الدين وبعض اعضاء الاسره المالكة والتجار والمستشرقين (٣٥) .

ويرى د . عبدالعظيم رمضان ان الرابطة الشرقية هى جسر الانتقال بين فكرة الجامعة الاسلامية التى كانت سائدة قبل الحرب العالمية الاولى وفكره القومية العربية . والواقع ان الرابطة الشرقية تمثل تيارا علمانيا مستقلا رغم انها كانت تضم خليطا مثقفا من المفكرين السلفيين والعلمانيين فقد ظهرت فى مرحلة تتميز بسيطرة التيار العلمانى وانكماش التيار السلفى . كما انها **انتهت بسيطرة التيار العلمانى المتغرب . وقد بدا** ذلك واضحا عندما اصدرت الجمعية فى ١٥ اكتوبر (تشرين أول) ١٩٢٨ مجلة الرابطة الشرقية بعد ست سنوات من تأليف الجمعية فكانت تنشر افكار وايديولوجية الاحرار الدستوريين . اذ كان يراس تحريرها الشيخ على عبد الرازق ، وكان من **ابرز كتابها الدكتور طه حسين ومنصور فهمى ومصطفى عبد الرازق وسلامة موسى . مما ساعد** على تفجر الخلاف داخل الرابطة بين ذوى الاتجاه الاسلامى بقيادة رشيد رضا وبين اصحاب الاتجاه العلمانى الذى كان يسيطر بالفعل على فكر الرابطة ونشاطها . وهذا يقدم دليلا على ان **الفكرة العربية لم تكن امتدادا او جزءا غامضا من الفكرة الشرقية خصوصا وان التيار المسيطر داخل الرابطة لم يكن التيار ذو النزعة الاسلامية اوالعربية ، بل على العكس فان التيار الذى كان يمثل القومية المصرية والانتماء الى الحضارة المتوسطيه هو الذى سيطر على افكار واتجاهات الرابطة . كما ان المفاهيم التى حددها بعض اعضاء الرابطة كاطار ايديولوجى للفكرة الشرقية كانت تتفق تماما مع افكار وايديولوجية الاحرار الدستوريين** فهى لاتستند الى اساس دينى أو عرقى ، بل تستند الى تصور صحيح فى ذلك الحين للاختلاف المادى والحضارى بين الشرق والغرب . كما انها **تترجم العوامل المتعددة التى تنتمى اليها مصر، فهى من ناحية جزء من العالم الاسلامى يحكم** الاسماء الدينى ، وهى من ناحية ثانية جزء من العالم الشرقى الذى يقف فى مواجهة العالم الغربى الاستعمارى . ومن ناحية ثالثة هى جزء من عالم البحر المتوسط الذى تربطه بها صلات حضارية تاريخية ، كما انها من ناحية رابعة جزء من وادى النيل الذى يعتمد عليه النهر العظيم فى حياته ومعاشه . ثم هى جزء من العالم العربى الذى **تربطها به اكثر من رابطة مادية ومعنوية .**

وقد روى الدكتور محمد حسين هيكل قصة تأليف الرابطة الشرقية باعتبارها دعامة لصالح مصر القومية عن طريق تقوية علاقات مصر بالعرب وبالشرق عموما ، اذ كتب يقول (٣٦) : « لقد فكر جماعة من المصريين فى ان يصلوا حركة مصر القومية بحركة جاراتها العربية . وبحركة البلاد العربية التى انفصلت عن الدولة العثمانية تفكر فى الاستقلال الذى كفلته لها انجلترا فى مكاتبات رسميه .. ثم ان هناك حركة استقلاله قد بدأت فى الهند يقودها الزعيم غاندى وحملت المقاومة السلبية شعارها .. وقامت بلاد اخرى تطالب استقلالها بعد ان طلت عشرات السنين خاضعة للاستعمار . افلا يمكن تنظيم هذه النهضات القومية كلها تنظيما يؤدى الى نجاح مشترك »

لهذا فكر جماعة من المصريين الشرقيين المتيمين بمصر ان يصاحبا حركة مصر القومية بهذه الحركات الاستقلالية فى بلاد الشرق المختلفة .. » .. ثم يمضى فيقول : « وقد اعتذرت يومئذ عن

الانضمام للرابطة ذلك انني أرى من التفاوت بين مصر وبين هذه البلاد الشرقية فى ثقافتها وفى لغتها وفى مقوماتها القومية ما قد يصرفنا نحن المصريين عن تركيز جهودنا فى قضية وطننا ومايدعونا لحمل عبء لا طاقة لنا به وبذلك يضيع جهد ما أحوج مصر اليه (٣٧) .

وقد حاول الشيخ على عبد الرازق ان يحدد مقومات الفكرة الشرقية وتاريخ ظهورها فاشار الى « انه لا يستطيع ان يحدد تاريخا مفصلا للفكرة الشرقية التى أخذت فى الاعوام الاخيرة وخصوصا بعد الحرب الكبرى تحيا بين الشرقيين وتملأ اذهانهم والتى اخذت تتطور فى صور مختلفة وتنتقل من قطر الى قطر . ومن جماعة الى جماعة حتى كادت تصبح حقيقة عملية لا مجرد عقيدة وفكر » وقد ارجع اصولها « الى ايام الحروب الصليبية حينما تألب ملوك أوروبا تحت راية الصليب يشنون على الاسلام تلك الحروب الصليبية فنشأت الفكرة الشرقية فى ذلك الحين ، وكان ذلك فى مقابلة الفكرة الغربية التى تحيى رجال الصليب (٣٨) .

ويشير الشيخ على عبد الرازق فى مقاله الى ان أصول **الفكرة الشرقية** ترجع الى الصراع التاريخى بين الشرق والغرب والذى اتخذ فى البداية طابعا دينيا هو الحروب الصليبية ، ثم تطور فى العصر الحديث واتخذ اشكالا اخرى اشمل عندما «اتسعت مساحة الدنيا وانكشفت أمام أوروبا بلاد جديدة غير بلاد الاسلام . عندئذ ظهرت الفكرة الشرقية بمعناها الحديث الواسع ويشمل اسيا وافريقيا ، وذلك فى مقابلة الفكرة الغربية التى تعنى أوروبا وامريكا » والفكرة الشرقية بهذا التحديد تقترب فى جوهرها من التقسيم المعاصر الذى يضع اسيا وافريقيا فى جبهة التحرير الوطنى مقابل أوروبا وامريكا فى الجبهة الاستعمارية (٣٩) . ويشير عبد الوهاب عزام الى المضمون ذاته فى مقال بعنوان « واجب الشرقيين اليوم » محاولا تحديد واجبات الشرقيين فى هذه المرحلة وذلك باستعراض تاريخ الصراع بين الشرق والغرب منذ القدم ، صراع روما وقرطاجة .. وحروب الفرس واليونان ، وتنازع الروم الشرقيين والاكاسرة على غرب اسيا ، ووقائع الفتح الاسلامى والحروب الصليبية ، وفتح الاتراك لشرقى أوروبا الى ان يصل الى العصور الحديثة حيث « نظر الشرق فاذا الغرب يشن غاراته ويوالى هجماته ومال الميزان على الشرق كل ميل ، ثم نظر فاذا اسباب القوة والفتنة مجتمعة للغرب بسلاح مدمر سخر البر والبحر بالبخار ثم بالكهرباء ، وسلسلة من المعجزات يحار فيها العقل والنظر . فجاهد الشرق جهد قوته ثم عيى بالجهاد فاستكان » ويرى ان الدواء هو « ان نجد انفسنا بعد ان فقدناها وضللنا عنها ، وذلك بان نصل ماضينا وحاضرنا بالمستقبل الذى هو اشبه بنا وابخلاقنا وادبنا وعقائدنا وتاريخنا » . (٤٠)

ومن هنا نرى ان الرابطة الشرقية لم تكن معبرا الى الفكرة العربية فى مصر كما يرى د . عبد العظيم رمضان ، بل كانت تمثل تيارا علمانيا مستقلا اشمل من الفكرة العربية ومن الفكرة الاسلامية ، بل تضمها معا وتتجاوزها وتمثل منهجها اكثر تكاملا واكثر عصرية . فهى قد وضعت انتماء مصر فى اطاره العصرى الصحيح . بل لقد تجاوزت الاعتبارات الدينية المحضة التى تميز ذوى الانتماء السلفى وان لم تتغافلها . كذلك تجاوزت الروح الاقليمية الضيقة التى تميز بها دعاة الاتجاه القومى المصرى بشقيه الفرعونى والمتوسطى (الحضارة المتوسطية) وان شملتها معا . وهى تعتبر الفكرة الجنينية التى برزت فيما بعد فى مرحلة ازدهار حركات التحرر الوطنى فى اسيا وافريقيا فى نهاية الخمسينيات من القرن الحالى وتبلورت فى جبهة الشعوب الافرو اسيوية فى مواجهة الجبهة الاستعمارية الا انها قدمت خدمات لاباس بها للتيار العربى فى مصر .

ترددت القيادة السياسية فى مصر فى اتخاذ سياسة عربية تسير بموجبها أو تبنى سياسة أوسع شرقية أو اسلامية توجه خطاها ، وكما سبق ان عرضنا كانت جميع هذه التيارات تتصارع وتتعايش داخل المجتمع المصرى ، ولكن لم يتح لاى منها السيادة والتفوق ، ومن دلائل عدم تبلور الاتجاهات السياسية فى مصر خلال هذه الفترة . وترددها وحيرتها بين النزعتين **القومية المصرية والعربية الاسلامية محاولات تجديد الخلافه الاسلاميه على يد الهيئة الدينيه العليا فى** الازهر التى كان يتزعمها الشيخ مصطفى الراغى فقد بذلت محاولات فى مصر لبعث الخلافة الاسلامية وسعى الازهر لذلك ودعا الى مؤتمر فى القاهرة يجتمع فيه علماء المسلمين واقطابهم سنة ١٩٢٦ . وقد قرر المؤتمر يومئذ عمل ملائمة الظروف لاعادة الخلافة . وتاجل البت فيها الى مؤتمر آخر المشروط ان يعقد فى القاهرة ليعالج المسالة ويفصل فيها . (المصدر د . احمد طربين ـ الوحدة العربية بين ١٩١٦ ـ ١٩٤٥ ـ معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٥٧ . ص ١٩٥) وقدوجدت فى مصر بعض اعلان تميل الى مبايعة الملك بالخلافة اعتقادا منها انها تؤدى واجبا دينيا . على ان هذه الجماعات كان نفوذها محدودا ودعايتها محصورة . فهنالك دائما دينية لها وزنها ابدت اعتراضها على ذلك علاوة موقف حزب الوفد الذى عارض الفكرة معارضة صريحة تجلت فى موقف صحفه . (٤١)

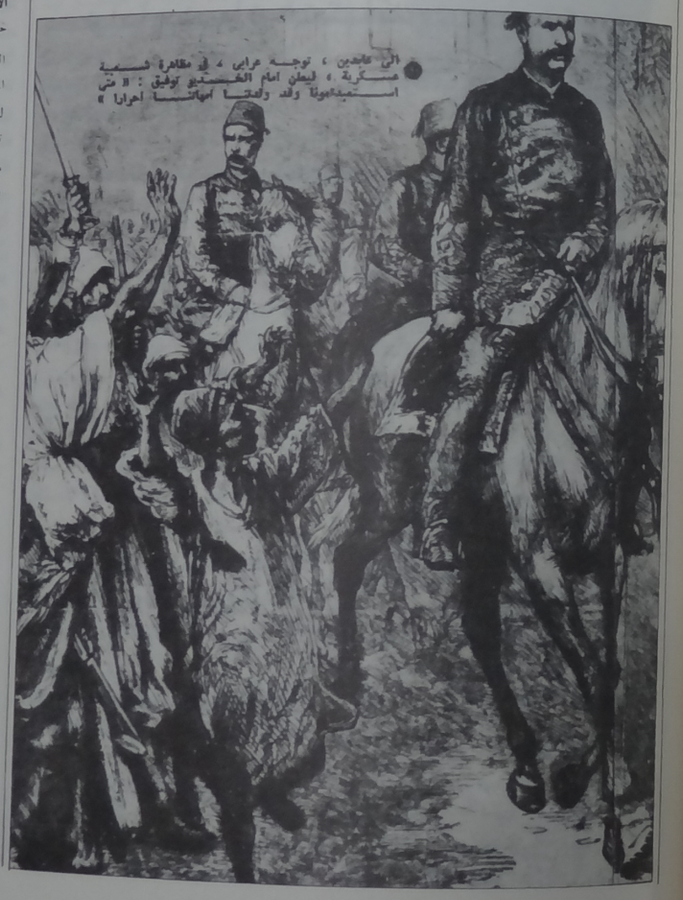

سنوات الصمود

وعلى الرغم من جميع وسائل التزلق ، والتفتيت التى لجأت اليها الدول الاستعمارية لتجزئة الشرق العربى فقد ظلت الصلة قوية بين اجزاء الأمة العربية وقد طرأت فى الثلاثينيات على الواقع العربى المادى عدة متغيرات هامة اوجدت يمكن ان يطلق عليه العوامل المضادة للتباعد العربى(٤٢) . مماساعد على تخطى الحواجز الاقليمية المصطنعة ، والبدء فى دخول مرحلة تاريخية تختلف نوعيا عن المراحل السابقة لها فى البلاد العربى . ويمكن ايجاز هذه المتغيرات فيما يلى :

● **تطور وسائل المواصلات وبالاذات انشاء طريق السيارات عبر بادية الشام مما ساعد على تقريب المسافات بشكل ملموس بين كل من دمشق . وبغداد . ودمشق ،وعمان .**

كذلك تحسنت سبل المواصلات بين مصر والمشرق العربى برا ، وبحرا وجوا . ولقد شجع ذلك على خروج المثقفين المصريين من عزلتهم **وذهابهم فى رحلات مدرسية وثقافية الى الاقطار** العربية او للعمل فى بعض المعاهد الجامعية الحكومية . (٤٣)

● **انتعاش البورجوزية المصرية وتطلعها خارج حدودها بحثا عن الاسواق فاذا كانت ثورة ١٩١٩** قد انتهت الى تحقيق الاستقلال السياسى كما كان يبتغيه المصريون الا ان الطبقة

احمد عرابى : أول حركة رفض قام بها الضباط المصريون

التى استطاعت ان تكسب الى حد كبير من هذه الثورة كانت الطبقة البورجوازية فى قطاعها الزراعى وقطاعها الصناعى التجارى . وقد جاءت هذه المكاسب على مرحلتين سياسيتين الاولى تصريح ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٢٢ ،الذى اتاح للبورجوازية المصرية نوعا من المشاركة السياسية فى الحكم مع الاحتلال (رغم التحفظات الاربعة) ثم معاهدة ١٩٣٦ التى كان من ابرز نتائجها الغاء الامتيازات الاجنبية . وقد ساعدت هذه الظروف على نمو البورجوازية المصرية وتطورها مما جعلها تركز بصرها الى خارج حدودها بحثا عن الاسواق . وسرعان ما انتقلت الى العمل بمجرد ظهور سحب **الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٢)** ، خاصة وان عام ١٩٢٧ شهد ازمة حادة فى تصدير القطن المصرى فكسدت تجارته مما دعا البورجوازية المصرية الى التفكير فى البحث عن اسواق جديدة لتصريف القطن خارج الاسواق الاوربية التى كانت تحتكر العملية . وفى سنة ١٩٢٨ قام طلعت حرب مؤسس ومدير بنك مصر بجولة فى اقطار المشرق العربى لبحث امكانية فتح فروع مصر . وقد تبنت مجلة « **السياسة الاسبوعية** » هذا الاتجاه. وروجت له من خلال المقالات التى كانت تنشرها عن اقطار المشرق العربى ، كما او فدت ابرز كتابها « **عبد الله عنان** » لزيارة هذه الاقطار والكتابة عنها . والمعروف ان السياسة كانت لسان حال الاحرار الدستوريين وهو الحزب الذى كان يجسد مصالح كبار الملاك فى مصر . (٤٤)

● **انتشار الصحافة والاذاعة كوسائل لنشر الثقافة وكوسيله اتصال فعالة بين جماهير المنطقة العربية . وقد لعبت الصحافة المصرية دورا هاما فى هذه الفترة** فى نقل ومتابعة الاحداث وخلق رأى عام عربى حول ما يدور فى المنطقة خاصة وان معظم الصحف المصرية اليومية لها مندوبون ومراسلون فى فلسطين ، وسوريا، ولبنان ، والعراق مثل الاهرام والمقطم والسياسة وكوكب الشرق والبلاغ لتغطية الاحداث ومتابعتها فى حينها .. والى جانب المجلات الفكرية والثقافية كالهلال والمقتطف والرسالة التى كانت ملتقى رجال

الفكر والسياسة من كافة الاقطار العربية كانت الاعداد الاسبوعية التى تصدرها الصحف اليومية تقوم احيانا بنفس الدور كما اصبحت تمثل اهتماما اكبر بدراسة اوضاع البلاد العربية (٤٥)

كما ان الصحف المصرية كانت تنشر كثيرا من الاخبار والتعليقات نقلا عن الصحف العربية التى كان ترد اليها بصفة دورية .. **وقد ترتب على ذلك زوال المعنى الذى احاط بكلمة (عرب) بين المصريين والذى كان من اهم العوامل التى ادت الى تباعدهم عن الفكرة العربية** خصوصا وانها كانت مقترنة فى اذهانهم بالتأخر والهمجية وبدأت لفظة العرب فى تلك الاثناء تتنقل تدريجيا من معناها الكلاسيكى الذى كان سائدا فى مصر قبل الحرب العالمية اولى ، والمرادف لكلمة الاعراب الى مدلولها الحديث . وقد تم ذلك عبر محاولات واجتهادات من الكتاب والمفكرين المصريين شغلت صفحات كثيرة من الصحف والمجلات **فى تلك الفترة (٤٦) .**

كما ترتب على ذلك ايضا ان **اصبح ما يجرى فى مصر يجد صداه فى الاقطار العربية الاخرى .** واصبحت القوى الشعبية الناشئة فى هذه الاقطار تتابع باهتمام تفاصيل السياسة الداخلية المصرية وعلاقات القوى داخل المجتمع المصرى ، والضغوط التى تتعرض لها الحركة الوطنية المصرية من قبل السراى ، والاحتلال واحزاب الاقلية (٤٧) ففى اعقاب الحملة الارهابية التى شنتها حكومة محمد محمود ضد الحركة الوطنية المصرية عقد اجتماع ضم اللجنتين المركزيتين للحزبين الشيوعين فى سوريا وفلسطين ، اسفر عن ارسال برقيتين تتضمنان ادانة الحزبين للوسائل الدكتاتورية التى تتبعها

" واجبنا - كشرقيين اليوم - أن نجد أنفسنا بعد أن فقدناها وضللنا عنها ، وذلك بأن نصل ماضينا وحاضرنا بالمستقبل الذى هو أشبه بنا وبأخلاقنا وآدابنا وعقائدنا . "

● عبد الوهاب عزام ١٩٣٢ .

حكومة محمد محمود والتى ترمى الى تحطيم حق الانتخاب البرلمانى ، وحرية الصحافة والتعبير والاجتماع وهى الحقوق التى لم يتسن للشعب الحصول عليها الا بعد نضال مرير ، والبرقية الثانية ارسلت الى مصطفى النحاس وحافظ رمضان باعتبارهما رئيس حزب الوفد والحزب الوطنى اللذين تعرضا للاضطهاد (٤٨)

وقد تمخض عن ذلك بروز قيادات فكرية وثقافية بدأت تدرك العلاقة العضوية بين القضية المصرية والقضايا العربية وكان فى طليعة هولاء عصام الدين حفنى ناصف وعبد الله عنان ومحمود عزمى ومكرم عبيد .

● **ظهور الخطر الصهيونى على اثر تطور قضية فلسطين على نحو يهدد الوجود العربى كله بالفناء .**

اذ جرت خلال هذه الفترة (اغسطس - آب ١٩٢٩) حوادث حائط البكى او الحائط الغربى للمسجد الاقصى آخر اثار هيكل سليمان عند اليهود ومصمد البراق عند المسلمين .. كان الصراع فى صميمه بين الحركة الوطنية العربية فى فلسطين وبين الصهيونية والانتداب البريطانى بسبب الهجرة اليهودية المتزايدة . وقد اراد اليهود انتزاع ملكية الحائط ووضعوا الستار عليه ، وسارت مظاهراتهم تهتف الحائط حائطنا وهب العرب يهتفون ، ان الوطن لهم حائطنا هب العرب يهتفون . ان الوطن لنا والحائط للمسلمين واشهر السلاح وسالت الدماء وسقط مئات القتلى والجرحى من الجانبين (٤٩) . وتحركت الصهيونية فى العالم مستثمرة علاقاتها الوثيقة بالدول الاستعمارية ، وركائزها الاقتصادية **فى هذه الدول . كما تحركت الشعوب العربية ايضا متعاطفة مع الشعب العربى فى فلسطين واه تزعجت الفئات الدينية التى ارتكزت على الاماكن المقدسة حركة التاييد ، والمساندة للشعب** الفلسطينى . والواقع ان شعب فلسطين كان يخوض معركة لاتتعلق باستقلاله فحسب ولكن وجوده الماوى ، ولاتتعلق ببلد وحدها ولكن بالعالم العربى كله ، اذ كان مطمع الربع الاستعمارى فى الجسد العربى كله . علا صوته لتكتيل القوى على كل المستويات المتاحة عربيا واسلاميا ودوليا باسم التحرر وباسم العروبة وباسم الاسلام . قد دنا لعقد مؤتمر اسلامى عام بالقدس فى ديسمبر من ذلك العام لايجاد كتلة اسلامية عربية معادية لمطامع الصهيونية (٥٠) . ولى مصر **تلاقت مختلف الاتجاهات الدينية ، والقومية فى**

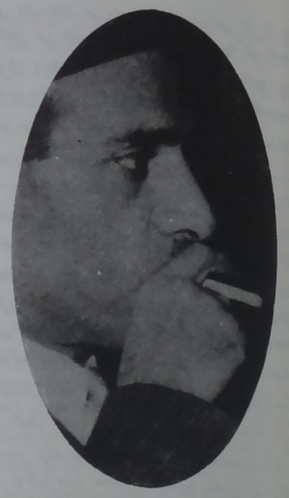

الاهتمام بفلسطين . وكانت مصر تعيش فى ذلك الوقت ملحمة صراع وطنى ديموقراطى طرفها الاساسى الحركة الوطنية بقيادة الوفد فى مواجهة طرفى الصراع التقليديين وحلفائهما من احزاب الاقلية اى السراى والاحتلال البريطانى . **وقبيل** عارض الملك اية دعوة للجامعة الاسلامية لاتخرج من تحت تاجه بعد فشل مشروع الخلافة . **ولاشك ان الانجليز كانوا يعارضون اى اقتراب مصرى من الشعب الفلسطينى والعربى . وارتبطت مصالح كبار ملاك المصريين بفكرة القومية العربية النمزلة عن العرب . ووقفت حكومتهم سنة ١٩٢٩** ضد ثورة شعب فلسطين وكتبت جريدتهم (السياسة) تهدد الوطنيين الفلسطينيين فى مصر بالطرد لتهييجهم الرأى العام خوفا من اغضاب الانجليز من ناحية ، وخوفا من تشجيع الشعب المصرى على التمرد على حكمهم خصوصا وان مقومات هذا التمرد كانت متوفرة . (٥١)

وقد كتب **محمد عبد الله عنان** فى جريدة السياسة الاسبوعية » يقول « مهما كانت اسباب هذه الحوادث الدامية .. **ومهما كانت المسئولية فى اثارتها فانه لايمكن ان نتجاهل اليهودية هذه** الحقيقة وهى ان الوطن القومى اليهودى لا يمكن **ان يقوم على سياسة العنف فى قلب شعوب تجمعوا روابط جنسية ودينية وتاريخية لايمكن ان يغفل اثرها» ولكنه فى ذات الوقت ادان سياسة العنف** التى يسلكها الشعب الفلسطينى قائلا انه .. «لايعتقد ان سياسة العنف طريق صالح يستطيع ان يسلكه الشعب الفلسطينى لتحقيق امانيه لان سياسة العنف اصبحت اليوم طريقا خطرا لا يامن سلوكه الاقوياء انفسهم فضلا عن الضعفاء» (٥٢)

كما كتب مرة اخرى فى ٢١ سبتمبر ١٩٢٩ ينصح كلا من العرب واليهود بالاعتدال قائلا .. «ان فى وسع العرب ان يمضوا اكثر بالاتحاد الجهاد السلمى المستمر وان يحولوا فى المستقبل دون اراقة الدماء .. وعلى اليهودية اذا ارادت سلاما ان تقنع الامم العربية بانها لاتفهم فكرة الوطن القومى الا فى معنى متواضع وفى دائرة محدودة وانها لاتنوى افتئاتا على حقوق العرب أو اوطانهم» . وقد امتدحت جريدة « اسرائيل » الصهيونية التى كانت تصدر فى مصر هذا الاتجاه ، من جانب صحيفة السياسة . كما بعثت جريدة « هآرتس » الصهيونية مقالا نشرته جريدة السياسة الاسبوعية على صفحاتها يتضمن اشادة هآرتس بهذا الصوت الواحد فى العالم الاسلامى الذى يطالب بالروية ، والانصاف .. اذ لم يقم بين المسلمين المتنورين من يخاطب الجمهور الثائر يمثل هذه الكلمات الواضحة البسيطة التى وجهها محرر السياسة ، ان سياسة العنف ليست طريقا صالحا يسلكه الشعب الفلسطينى لتحقيق امانية (٥٣) امامى الجانب المقابل فقد استفزت احداث البراق ومحنة فلسطين عامة لدى الشعب المصرى جماع المشاعر الوطنية والاسلامية والمشاعر العربية الغامرة

وقد قادت الصحف الناطقة بلسان حزب الوفد وهما « البلاغ » و « وكوكب الشرق » حملة واسعة النطاق لتنوير الرأى العام المصرى بابعاد القضية الفلسطينية وتنبيهه الى الخطر الصهيونى وذلك بالتوسع فى نشر المقالات والتعليقات والاخبار عن النشاط الصهيونى فى فلسطين وحركة الهجرة اليهودية وشراء الاراضى من كبار الملاك الاقطاعيين وطرد الفلاحين الفلسطينيين منها وطرد العمال العرب واحلال اليهود مكانهم وتواطوء سلطات الانتداب البريطانى مع الصهيونية ضد الشعب الفلسطينى الذى لم يعدم وسيلة للمقاومة السلمية من احتجاجات ونداءات الى عصبة الامم والعالم الاسلامى والعربى واضرابات ومظاهرات شملت جميع المدن الفلسطينية ، ثم صدامات مباشرة وغير مباشرة ضد الخصوم القوميين ، وحلفائهم من جنود الانتداب وقد كانت الصحف الوفدية خصوصا «البلاغ» غالبا ما تنقل على الصحف الفلسطينية ، كما كانت تتيح فرصة واسعة للكتاب الفلسطينيين المقيمين بالقاهرة الكتابة على صفحاتها وابراز الجوانب المختلفة للمشكلة الفلسطينية .

وقد كتبت « البلاغ » عدة مقالات ابرزت فيها الاسباب الحقيقية لاحداث البراق كتبت فى احداها تقول « يكفى القول بان العرب فى فلسطين هم اصحاب البلاد الذين لا يجوز منازعتهم فيها ولا فى اى ركن من اركانها حتى ولو كان هذا الركن لا علاقة له بعقيدة دينية ، او كان غير محل تقديس واحترام من الوجهة الدينية واذا كان العرب كذلك . والصهيونيون ينازعونهم فى هذه الحقوق ويريدون ان يقيموا قومية صهيونية على انقاض القومية العربية وحكومة صهيونية بدلا من الحكومة الوطنية العربية ، تقول اذا كان الامر كذلك فهو فهو يكفى وحده فى ان يلقى ضوءا باهرا يكشف اسباب تلك المعارك الدموية التى تحرحت الحالة من اجلها فى فلسطين .. وطالما بقى هذا الوضع الشاذ فان النزاع سيبقى مستمرا وسيبقى الفلسطينيون على اعتقادهم بان الصهيونين قوم مغيرون عليهم ينازعونهم فى بلادهم ويريدون ان يبنوا لهم قومية على انقاض قوميتهم ووطنا على انقاض وطنهم» الى ان يقول « ولنفرض جدلا ان السيل ممهدة معبدة امام ذلك الحلم الجميل الذى يراه اليهود او بالاحرى بعض اليهود فى متاهمة فاين يذهب الفلسطينيون وهم الاكثرية الساحقة بمصالحهم وقوميتهم . وبعدكم الف من السنين يستطيع - الصهيونيون ان يكونوا الاكثريه التى تجرف امامها تلك الاكثرية الساحقة .. من الفلسطينين مسلمين ومسيحيين حتى تصبح اقلية .. اذن فالحق فى تنفيذ وعد بلفور هو منشا هذا النزاع ولولاه ما وقف اليهود موقفهم فى مسالة البراق ، ولا تظن ان هذا يؤدى الى استقرار الحالة فى فلسطين استقرارا تماما لان الفلسطينين لايسكتون بطبيعة الحال عن حقوقهم فى بلادهم التى لايذكرها عليهم احد (٥٤) .

ومن الواضح ان الفكرة العربية فى مصر قد تلقت بقضية فلسطين دفعة قويه الى الأمام

فقد خطب محمد على علوية باشـــا الذى تولى الدفاع ، عن حقوق العرب فى جدار البراق الشريف امام لجنة التحقيق الدولية خطـــابا هاجم فيه الفرعونية هجوما شديدا ودعا للعروبة بحرارة فقال « وانى ليحزننى ايها السادة ان ارى واسمح بعد ان ذهبت الى فلسطين وادفعت بضـــعى عن قضيتها وعلمت ان الامة العربية امة واحدة يربطها رباط واحد ، نعم يحزننى ان افكر انه يوجد فى بلادى فريق مهما كان شأنه يبث فكرة الفرعونية. انا لا ادرى ما الحافز الذى حدا ذلك النفر الضئيل فى مصر الى ان يصرح بقوله : حطار يا مصر ان تكونى واسطة عقد الامم الدربة واختها الكبرى لانك لست منها بل انت فرعونية . ان الفرعونية ليست جنسا من اجناس البشر ولكنها عصر من عصور الحكم .. على اننى لو فرضت ان هناك جنسا فرعونيا لجماود ما وعظما فان فوق هـــذا الجنس جنسا اخر ورابطة اخرى هى ان هذه الامم العربية تجمعها لغة واحدة وتقاليد واحدة ،وعادات واحدة والام واحدة ، وامال واحدة فهل يظن ظان انه يوجد اعتبار فوق هذه الروابط الوثيقة التى لاتنفصم اواصرها ، ما مصر الا عربية ولا تقسوم الا على انها ولايرضى المصريون بغير العربية(٥٥).

التطلع عبر الاسوار القطرية

طرات فى تلك الفترة عدة متغيرات داخل المجتمع المصرى ساعدت عـــل نمو الاهتمام المصرى بالفكرة العربية يمكن ايجازها فيما يل .

- ظهور حركات اسلامية ذات اتجاه فاشى (الاخوان المســـلمين ومصر الفتاة) .
- تكوين صـــحف وروابط ومنظمات شعبية تعمل لخدمة التيار العربى فى مصر مثل جمعية الشبان المسلمين ومجلة الرابطة العربية .

● تبنى حزب الوفد لهذه الفكرة واهتمامه بقضية فلسطين .وسنعالج كل عامل من هذه العوامل على حدة .

فقد ظهرت الحركات السلفية ذات الطابع الفاشى مثل حركة الاخوان المسلمين ومصر الفتاة فى نهـــاية العشرينيات وبداية الثـــلاثينيات نتيجة لظروف موضوعيه .. فلقد طرا على المجتمع المصرى خلال هـــذه الفترة تغييرات ســـياسية وفكرية واقتصادية وحضارية عميقة ومتنوعة، وقد كان لذلك انعكاسه المباشر على البنية الاجتماعية والسياسية والانماط الفكرية واساليب الحياة فى مصر .

فمن الناحية السياسية بعد انتهاء ثورة ١٩١٩ بالفشل فى تحقيق الاستقلال السياسى وخـــروج الطبقات الشعبية من هذه الثورة دون مكاســـب على الاطلاق استأثرت الطبقة البورجوازية بجناحيها الزراعى ، والصناعى التجارى ببعض المكاســـب السياسية التى اتاحت لها فرصة النمو الاقتصادى والمشاركة السياسية فى الحكم مع الاحتلال ، وقد اتسمت هذه الفترة بالصراع بين اجنحة البورجوازية المصرية المختلفة حول السلطة، وظلت آمال الجماهير فى الاستقلال وتحقيق الديموقراطية السياســـية رهينة هذا الصراع . وتعلقت الابصار بالوفد خلال العشرينات ليقود المجتمع الى هذه الغاية فلما تلكأ تحقيق هذين المطلبين بل وطرأت مزيد من المشاكل الاجتماعية التى لم تكن لهاحلول واردة فى برامج الوفد مما ساعد على تحول كثير من الانظـــار ، يأسا من الاوضاع الراهنة واملا فى تلمس الحلول فى اساليب اخرى ، او اهداف معايره وقد اتسمت الفترة من او اخر العشرينات الى الثلاثينـــات بالانقلابات الدستورية والصراعات التى تدور فى دائرة شبه مغلقة بين الوفد واعدائه ، وبدا للبعض ان المؤسسات السياسية التى نجمت عن ثـــورة ١٩١٩ لايظهر فى الافق انها قادرة على تفريج ازمة المجتمع . وثار الشك حول قدرة الوفد على احداث التغييرات المطلوبة .وانتكس تفاؤل العشرينات فى نظر الكثيرين الى تشاؤم وحيرة وخوف ان يسير المستقبل على نفس المنوال(٥٦) اما من الناحية الفكرية فعلى الرغم ان الشعب المصرى كان يدين بالمذهب الليبرالى كما ظهر واضحا فى موقفه من ثورة ١٩١٩ والثقافـــة الكامل حول الوفد بكل مايرمز اليه وخلو تطلعه الى الاستقلال من اى مضمون اسلامى الا ان هذا التخلى عن الاسلامية كفكرة سياســـية اى كقوة ووطن وحكومة لم يترتب عليه مطلقا التخلى عنها كدين وتراث وحضارة وتقاليد ، ومن ثم فلـــس كان من الطبيعى ان ينفتح قلبه لدعوة تخاطب هذا المعانى فى نفسه ، دعوة دينية تدعو لكتساب الى وسنة نبيه وتعمل لاعادة مجد الاسلام والمسلمين(٥٧) بالاضافة الى ان هذه الفترة شهدت هجوم العنصر التبشيرية الاوروربية وتعاوناتها للتغلغـــل فى المجتمع وانشاء ركائز دينية الغرب فى مصر وقد افترن ذلك فى اذهان البعض بحركة الفكر العلمانى التى قادها المثقفون المصريون الذين احتكوا بالثقافة الغربية . ووضعت دعوة الاخوان المسلمين حركة الاستنارة الفكرية بجانب النشاط التبشيرى ودون الى النظر اليهما باعتبارهما هجوما واحدا على الاسلام واستقر ذلك فى عواطف الكثيرين واقصرت الدعوة على الاثارة دون محاولة للتوضيح تكشف ان حركة الاستنارة هى موجهة بالضرورة ضد النشـــاط التبشيرى .. ومن الناحية الاقتصادية كان الظهور الراسمالى فى مصر يتجه الى تصفية الكثير من الحرفيين واصحاب الدكاكين والتجار ويلقى بهم الى صفوف العمال وعندما يحس هؤلاء بان المستقبل فى غير مصلحتهم يتجهون الى الماضى يلتمسون من العون وبقدر مايتغلق افق المستقبل امامهم بقدر ما ينمو الخيال ويستمد من الماضى مدينته الفاضلة . وكانت الدعوة السلفية هى مايجذب هؤلاء، فكر غامض كالاحلام طنوه مخرجا . فضلا عن ان انتقال العمال المصريين فى تلك الفترة كان فى مؤسسات راسمالية يسيطر على معظمها الاجانب او اليهود ساعد على تعليب العلاقات الطبقية بمسوح دينية واصبح الوضح فى اذهان العمال بمثابة سيطرة المسلمين على الاسلام وفى غياب الفهم العميق للعلاقات الطبقية فى المجتمع لايبدو واضحا الى التطور المستقبل وتصبح صور الماضى هى الرصيد الوحيد للامل فى الخلاص (٥٨) .

من هنا وجدت الدعوة السلفية الارض مهيـــ والظروف ملائمة تماما سياسيا وفكريا واقتصاديا ولقد نشات حركة الاخوان المسلمين بمثابة رد فعل عنيف ضد الفشل السياسى والاجتماعى للنظام القومى الليبرالى . وقد قامت الجماعة فى اواخر العشرينيات بزعامة حسن البنا باعتبارها حركة سياسية دينية مستلهمة التفسير الجاد للاسلام

هذه المسائل الاجتماعية والسياسية ، وكان الاخوان منذ بداية حركتهم يدعون الى اصلاح دينى سلفى شبيه بما كان يدعو اليه رشيد رضا وان فاقوه فى التركيز على الأهمية الاجتماعية للقرآن والسنة فلوحوا للفقراء بقرب عهد تحقيق العدالة والمساواة فى نفس الوقت الذى طالبوا باستقلال مصر التـــام ولكن فى اطار اسلامى اكثر منه مصرى او عربى ، وقد قدم الاخوان المسلمين انفسهم باعتبارهم وموسوليننى منذ وقت مبكر جدا من حركته اى بديلا لحكم الساسة العلمانيين وبالتالى للنمط الاوربى المستورد فيما يتعلق بالحكومة والمجتمع رهو النمط الذى رفضوه جملة وتفصيلا بما فى ذلك قمة ونظمة . ورغم ذلك فان جماعة الاخوان المسلمين لم توفر بدائل سياسية او فكرية ملائمة كما انها عجزت عن طرح حلول موضـــوعية للمشاكل التى كانت تواجه المجتمع المصرى آنذاك بل لم تسع الى فهم هذه المشاكل وكان تأكيدها على ان القرآن اساس لقيام مدينة فاضلة اسلامية يقوم على العقيدة لا على الانجـــات العقل (٥٩) ، ومن الاسباب التى ادت الى نجاح حركة الاخوان المسلمين فى تلـــك الفترة جمود علمـــاء الازهر وتوقف نشاطهم عند حدود معينة من التفسيرات والشروح ، وبعدهم عن اهتمامات الجماهير الحقيقية وعدم اهتمام الاحـــزاب الســـياسية القائمة بالمشكلات الاجتماعية التى كانت تطرح نفســـها بالحاح فى ذلك الوقت ، وفى السنوات السبع السابقة على قيـــام الحرب العالمية الثانية خاص الاحـــوان ميادين النشاط المتعدده فقد نظمـــوا التشكيلات شبه العســـكرية ، وهى التى يطلق عليها البنا اسم التشكيلات الكشفية والرياضية واقاموا المحاضرات والدروس فى الدور والمســـاجد وتاسيس درس الثلاثاء واصدروا الرسائل والمجلات مثل رسالة المرشد ، ومجلة الاخـــوان المســـلمين الاسبوعية ، ومجلة النـــذير وانشأوا الشعب فى القاهرة والاقاليم وفى الخارج : فى السودان، وسوريا ولبنان وفلسطين والمغـــرب . واقاموا المؤتمرات الدورية فى القـــاهرة ، والاقاليم ، وســـاهموا فى الحركات الاسلامية كحركة مقاومة التبشير وحركة التعليم الدينى وســـاندوا بكل قوتهم القضـــية الفلسطينية . وهى القضيه التى كانت معبراوجسرا عريضا لهم الى الحياة السياسية والارهابية (٦٠) وتقول « كريستينا هاريس » ان حسن البنا سنحت له فى ثورة فلسطين ١٩٣٦ ضالته للعمل والتوسع واكسبة تأييده للثورة عطف مفتى فلســـطين الحاج أمين الحسينى . واتصل بحكام البلاد العربية والاســـلامية وملوكها وبـــدا يهاجم الســـياسة البريطانية . وقد اتفق هجوم حسن البنا فى تلك الفترة عـــل الانجليز مع الحملة الدائرة الفاشية ضد البريطانيين فى الشرق الاوسط مما جعل البعض يعتقد انه يعمل لحساب الايطاليين والالمان فى المنطقة . (٦١) .

وفى الواقع ان البنـــا قد ابدى اعجابه بهتلر وموسولينى منذ وقت مبكر جدا من حركته اى فى عام ١٩٣٣ . فقد وصفهما بانهما ، قـــاده النهضات الحديثة فى اوروبا . واشاد بالاتفاقات التى عقداها مع الفاتيكان قائلا انها تدل على انها لا يحاربان الاديان والعقائد بل هما على النقيض من ذلك يؤيدانها ويثبتانها فى نفوس الامة . ودعا اولئك الذين لا يزالون غارقين فى سكرتهم هائمين على اوربا اللاتينية ان يفيقوا من هـــذه السكرة ويفتحوا اعينهم عـــل اوربا الحديثة الفاتيكانية (٦٢) .

. . . . . .

وتكون حزب مصر الفتاة فى هذه الفترة سنة ١٩٣٣ وكان اول تنظيم سياسى مصرى يفصح فى برنامجه هدف التحالف مع الدول العربية (٦٣). وقد نجح زعيمه احمد حسين فى توثيق عـــلاقاته مع بعض الوطنيين الفلسطينيين المقيمين فى مصر وبشكل خاص مع محمد على الطاهر صاحب مجلة « الشـــورى » . وعندما اصدر « مصر الفتاة » صحيفته عام ١٩٣٨ التى حملت اسم الحـــزب نفسه فتح صفحاتها لمحمد على الطاهر خاصة بعد ان اوقفت الســـلطات البريطانيـــة صـــحيفة الشورى (٦٣) .

وكان هناك اوجه تشابه بين حركة مصر الفتاة التى نشأت بمشروع القرش مستهدفة السعى لبناء الاقتصـــاد الوطنى (باســـلوب غير علمى) بجمع التبرعات ومقاطعة البضائع الاجنبية ، وبين حركة الشباب العربى الفلسطينى الذى عقد مؤتمره الاول فى ديسمبر(ك اول)١٩٣٢ وبحث تشجيع المصنوعات الوطنية ومشروع صندوق الامة وتنشيط الحركة الكشفية ودعا للوحـــدة العربية والـــذى طالب فى مؤتمره الثانى سنة ١٩٣٥ بان تقوم نهضة الشباب على اساس (الاخلاص لله والوطن) (٦٤) ، وهو شعار شبيه بشعار مصر الفتاة . كما دعا لتكوين جبهة وطنية واحدة من الاحزان على نحو ما فعلت حركة مصر الفتاة فى مصر وقتها .

وتتفق جماعة الاخوان المســـلمين وجماعة مصر الفتاة فى الملامح الفاشية البارزة فكلتا الحركتين تستقى من الفاشية تنظيماتها شبه العسكرية كما تستقى منها معاداتها للنظم الديمقراطية الليبرالية وتتفق فى اتخاذ الدين قاعدة اساسية لدعوتها .

وبالنسبة للاخوان المسلمين فقد آمنوا بالعروبة (امنوا بها كرابطة حضـــارية وليس كقومية) وامنوا بالوحدة كخطوة اولى واساسية نحو الوحدة الاســـلامية . اى ان الفكرة العربية لديهم كانت تدور فى اطار الوطن الاســـلامى وفكرة الجامعة الاسلامية ووحدة الامة الاسلامية وما اطلق عليه حسن البنا اسم « قومية الاسلام » وقد جاء فى المبدأ الخامس من تعاليمهم ان بين اهـــدافهم تحرير مصر والعالم العربى والعالم الاســـلامى باسره، وطرد الحكم الاجنبى منه وتاييد الوحدة العربية تاييدا كاملا والسير بها نحو الغايـــة الاسلامية .. اذ ان الاخوان يعتبرون العالم الاسلامى من ضمنه العالم العربى ، وحدة لا يتجزأ وان اى اعتداء على قسم منه هو اعتداء على باقى الأقســـام وان من واجب المسلمين فى سائر ديارهم مد يد العون لبعضهم بعضا وقد دعا البنا الى القومية العربية فى مواجهة القومية المصرية ولذلـــك كان الذين اهم مقومات القومية العربية فى نظر الاخوان المسلمين . وقد كتب منظرو الاخوان وفى مقدمتهم حسن البنا نفسه احاثا كثيرة فى تاييد الفكرة العربية ، وتحديد موقف الاخوان منها ويعتبر المقال التالى تجسيدا حيا لرؤية الاخوان المسلمين للوحدة العربية وعنوانه « وحدتنا الكاملة » ، يقول فيه حسن البنا مؤسس الاخوان المسلمين ومرشدهم العام .

هذا الوطن العربى الممتد من الخليج العربى الى طنجة على سعة اقطاره وانفساح مداه وحدة جغرافية لا تفصل بينها حواجز طبيعية .. وهو كذلك وحدة روحية بسريان الاسلام فى عرق ابنائه جميعا فالمسلمون منهم يقدســـون الاسلام كعقيدة ودين وغير المسلمين يلتزمون به كشريعة قومية عادلة .. وهذا الوطن وحدة لغوية بسريان لغة العرب فى ابنائه وفشـــوها بينهم تقدسها المعاريب فى الصلوات ويخلدها كتاب الله وآيات بينات . وهو وحدة فكرية ثقافية بما انه منبع الفيض الروحى فى الـــعالم كله ، ومصدر الفلسفات ومهبـــط الوحى ومهد الشرائع والديانات . وهو وحدة اجتماعية تتشابه العادات

والتقاليد فيه تشابها يكاد يكون تاما فى شعوبه وسكانه وتؤلف بين ابناء هذا الوطن بعد هذا كله المصالح العلمية المشتركة ولا شك ان كل شعب من شعوبه يدرلاكم من الفوائد العظيمة الجليلة التى تعود عليه بعودته الى هذه الوحدة ، وعودتها اليه وبخاصة فى هذا الزمن الذى لاتعيش فيه الا الامم المتجمعة والشعوب الوحدة المتكتلة (٦٧) .

واتفق الاخوان المسلمون وجماعة مصر الفتاة فى الاهتمام بالقضية الفلسطينية . ولكن بينما نبع اهتمام الاخوان من (احساس عميق بحق العروبة ورابطة الاسلام ، فان اهتمام مصر الفتاة كان بحركه دافع عنصرى فاشى مبعثه كراهية اليهود . ولذلك لم يكن حزب مصر الفتاة يفرق بين الصهيونية واليهودية بل كان يهاجم اليهود فى عنف ويدعو لمقاطعتهم على صفحات جريدته .

اما العامل الثانى فى نموالاهتمام المصرى بالفكرة العربية فهو تكوين روابط ومنظمات شعبية تعمل لخدمة االتيار العربى فى مصر ، وابرزهذه التنظيمات واقدمها جمعية الشبان المسلمين التى اسسها الدكتور عبد الحميد سعيد احد اعضاء الحزب الوطنى فى سنة ١٩٢٧ .وكان الدافع الى انشائها النشاط التبشيرى الذى استفز مشاعر المسلمين فى مصر فى نهاية العشرينات بالاضافة الى حوادث الغواية عن الدين ، وحوادث نقد الاسلام فى محاضرات بعض المبشرين وكتبهم مما كان له وقع عنيف ، ثم اعدام عمر المختار فى ليبيا وخضوع المغرب لجمعية فرنسية دينية (٦٨) ، كل ذلك خلق المناخ الملائم للبحث عن كيان يربط بين هذه البلاد تحت راية الاسلام . وكان الحزب الوطنى الذى قاد الحركة الوطنية قبل الحرب العالمية الاولى واصطبغ الفكر السياسى لبعض زعمائه بالفكرة الاسلامية ، والذى وقف فى صفوف المعارضة الوطنية بعد ثورة ١٩١٩ كان اكثر استجابة لهذا الموقف . وفى نوفمبر ١٩٢٧ شرع فى انشاء جماعة للشبان اختلف على وصفهم بالمصريين او المسلمين وفضل المؤسسون الاسم الثانى باعتبار ان الاسلام جزء من الماضى الوطنى ومن التكوين الحاضر للشرق ورغبة فى ان تمتد الحركة خارج مصر الى الشرق ، وخرجت جمعية الشبان المسلمين الى الوجود وقد لاقت اقبالا لدى شباب مصر المسلم ثم انتشرت دعوتها بين الشباب المسلم خارج مصر . واصبح للجمعية فى العام التالى فروع فى فلسطين وسوريا والعراق . وبدأت فى فلسطين بجمعيات يافا والقدس وحيفا ثم زادت جمعياتها الى عشرين جمعية فى أوائل الثلاثينيات (٦٩) ومع ان تلك الفروع لم تكن موحدة فانها كانت تتعاون فيما بينها وتتبادل الرأى فى المناسبات . وكثيرا ما عقدت المؤتمرات المشتركة وكان شبابها يتبادل الزيارات بين بلد وآخر ويتبادل المنشورات والبيانات ، ورغم نشأة الجمعية ذات الصبغة الطائفية الثقافية الاجتماعية وخلو مبادئها من اى نص سياسى . الا انهذا لم يمنعها من ان تهتم بقضايا العرب السياسية وتسهم فى معالجتها ، ويمكننا ملاحظة ذلك بوجه خاص فى قضية فلسطين . فقد اهتم الشباب بوضع العرب فى فلسطين منذ السنة الثانية لتاسيس منظمتهم . وقرروا فى المؤتمر العام الذى عقدوه فى يوليو ١٩٣٠ الدفاع عن حق العرب فى حائط البراق . ورغم انهم تحركوا للدفاع عن تلك القضية بدافع اسلامى لا عربى ولكن ساهموا فى تنبيه الرأى العام المصرى الى خطورة الوضع فى فلسطين . كذلك ساهمت جمعية الشبان المسلمين فى تعبئة الرأى العام المصرى لمساندة القضايا العربية المطروحة انذاك وابرزها الحملة التى قامت بها للدفاع عن المغرب ١٩٣٠ وكان الفرنسيون قد ساروا شوطا بعيدا فى سياستهم لمحو عروبة المغرب عن طريق احياء الثقافة البربرية فاحتجت الجمعية على هذه المحاولات وارسلت عدة مذكرات الى عصبة الامم والدول المختلفة المعنية بالامر . كما طالبت الحكومة المصرية بالتدخل رسميا والسعى لدى فرنسا لايقاف تنفيذ سياستها . وقد عرضت جمعية الشبان المسلمين على استثمار الاحداث التى مر بها العالم العربى فى ذلك الحين للدعاية لصالح الفكرة العربية ولم يمنعهم ايمانهم بوجوب تقوية الروابط بين المسلمين كما جاء فى مواثيقهم من العمل على تقوية الروابط بين العرب ، وكانت أول مطالبه صرحة لهم بالوحدة العربية سنة ١٩٣٣ فى المهرجان الكبير الذى اقاموه فى ذكرى معركة حطين (٧٠) .

ومن المؤسسات العربية الاخرى فى مصر (النادى الشرقى) الذى تاسس حوالى سنة ١٩٢٢ وكان معظم اعضائه من السوريين المقيمين فى مصر ، لذلك لم يعيش طويلا ولم تكن صلته بالحياة المصرية وثيقة .

كذلك شهدت هذه الفترة صدور صحف تعمل للوحدة العربية مثل مجلة (الرابطة العربية) التى اصدرها امين سعيد فى مايو (مايس)١٩٣٦ وكان يهدف الى أن تصبح صلة وصل بين مصر والاقطار العربية تحمل اليها ما يجب ان تطلع عليه من اخبار تلك الاقطار وتحولها السياسى والاجتماعى والاقتصادى وتعالج قضايا العالم العربى وتوليه صوته وتدافع عن مصالحة (٧١) .

اما العامل الثالث الذى ساعد على نمو التيار العربى فى مصر فى الثلاثينيات فهو تبنى حزب الوفد للفكرة العربية واهتمامه بالقضية الفلسطينية وقد كان موقع حزب الوفد على راس الحركة الوطنية المصرية وجهادة ضد الاستعمار يزيده مع الوقت قربا من حركات التحرر بشكل عام والحركات الوطنية فى العالم العربى بوجه خاص . ولقد ساعدت قاعدته الشعبية العريضة على سرعة استجابته لمشاعر الجماهير المتعاطفه مع القضية الفلسطينية وخصوصا بعد وقوع حادث البراق ١٩٢٩ . وقد حضر الوفد المؤتمر الاسلامى العام الذى انعقد بالقدس ١٩٣١ للبحث فى القضية فلسطين . وقد اجتمع المندوبون العرب انذاك انعقاده وحدهم وقرروا الدعوة الى مؤتمر عربى قومى لم يتيسر عقدة (٧٧) . وقد القى عبد الوهاب عزام ممثل الوفد رسالة مصطفى النحاس الى المؤتمر باسم مصر والوفد ، كما انتخب ممثل الوفد فى عضوية اللجنة التنفيذية والامانة العامة للمؤتمر . وكان ابرز القرارات التى اتخذها المؤتمر الدعوة الى توحيد البلاد العربية ، واستقلال تجزئة فلسطين ، وتاميس معترف عربى لمنع بيع الاراضى الى اليهود ، وانشاء جامعة عربية بالقدس وكان من اهم ما اسفر عنه هذا المؤتمر القرار حزب الوفد المصرى من القضايا العربية ومشاركة فى بحثها وفى الدعوة لحلها .

وفى عام ١٩٣١ زار مكرم عبيد فى رحلة صيفية سوريا ولبنان وفلسطين ، وتحدث فى ذلك الحين عن الوحدة العربية ، واكد عروبة المصريين وعرض رايه ببعض الاسانيد التاريخية (لان المصريين جاءوا من آسيا ، وهم اوفى الى العرب منذ القدم من حيث اللون والخصائص السامية والقومية) (٧٤) .

ويشير الدكتور انيس صايغ الى خطب مكرم عبيد فى بيروت ودمشق وشتوره والقدس ويافا ، ويقول أن من يطالع نصوصها الكاملة حسبما سجلها مراسلو الصحف انذاك يجب لبراعة صاحبها فى مهاجمة الاراء الفرعونية المبالغ ومهاجمة اصحابها من مسلمين ومن اقباط ، ثم يعجب لبراعته فى تحليل عروبة مصر ولى تغلغ التراث العربى فى مصر الى أقدم العهود (٧٥) .

وفى عام ١٩٣٦ وعلى يد الوفد انتقل الاهتمام

بقضية فلسطين من الصعيد الشعبى الى الصعيد الرسمى . فقد نشبت الثورة الفلسطينية الكبرى فى ابريل ١٩٣٦ بينما كانت المفاوضات المصرية البريطانية تجرى لحل القضية المصرية . وقد عقد النحاس باشا مع المستر ايدن جلسة خاصة ناقش فيها المسالة الفلسطينية ، وبين له ان مشروع التقسيم لا يمكن ان يكون حلا مرضيا كما اوضح ان (موطن الحرج فى موقف لامم المجاورة لفلسطين هو انها لا يمكن ان تقاتل عن المحنة التى يعانيها القطر الشقيق ، ثم تركل النحاس باشا للصحف المصرية الحرية فى نشر اخبار الثورة الفلسطينية والاشادة ببطولات الفلسطينين وتبرز تساؤل الشعب المصرى ومشاركته لهم (٧٦) .

كانت مصر على مشارف الاربعينات ، تخو الى عصر جديد ،مثقله بهموم التخلف والاستقلال الحزبى ، والسيطرة الطبقه الخائنه ، لكنها فى تلك السنوات كانت تتطلع بابصارها الى عالم عربى ، كانت قد بدات تمى - رغم كل الظروف - انها منه ، وان معركة تحررها وكفدمها ، جزء لايتجزا من معركة هذا العالم العربى ، ضد التبعيه والتخلف والتجزئه .

هوامش

(١) د . عبد الرحيم مصطفى - تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة - معهد الدراسات العربية - القاهرة ١٩٧٣ - ص ٨٦ .
(٢) المصدر السابق ص ٨٧ .
(٣) د . محمد انيس ورجب حراز - التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث - النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٣ - ص ١٠٨ .
(٤) المصدر السابق - ص ١١٤ .
(٥) ذوقان قرقوط - تطور الفكرة العربية فى مصر رسالة ماجستير ١٩٧١ جامعة القاهرة ص ١٢٣
(٦) المصدر السابق - ص ١٢٨ .
(٧) محمد عمارة - العروبة فى العصر الحديث - دار الكاتب العربى القاهرة ١٩٦٧ - ص ١٥٨ .
(٨) جاكوب لاندو - الحياة النيابية والاحزاب فى مصر من ١٨٦٦ - ١٩٥٢ ترجمة سامى الليثى - مكتبة مدبولى - القاهرة ١٩٧٤ - ص ٨٢ .
(٩) صلاح عيسى : الثورة الثرابية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت (١٩٧) .
(١٠) محمد عمارة مصدر سابق ص ٢٧٥ .
(١١) صلاح عيسى ص ٢٠١
(١٢) عبد العظيم رمضان .
تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ - الجزء الثانى الوطن العربى بيروت ١٩٧٣ ص ٣٣٣
(١٣) المصدر السابق ص ٣٣٤ .
(١٤) الجريدة ١٩١١/٨/٣٠ .
(١٥) لطفى السيد تاملات فى الفلسفة والسياسة والاجتماع نقلا عن محمد عمارة مصدر سابق ص١٦٠
(١٦) عبد العظيم رمضان . القومية العربية (فكرتها - نشاتها - تطورها) بيروت ١٩٥٩ - ص ١٦٠ .
(١٧) د . انيس وحراز مصدر سابق ص٢٩٥
(١٨) المصدر السابق ص ٣٠١ .
(١٩) المصدر السابق ص ٣٠٩ .
(٢٠) عبد العظيم رمضان مصدر سابق ص٣٣٥
(٢١) د . انيس صايغ الفكرة العربية فى مصر - بيروت ١٩٥٧ . ص ٨٩ .
(٢٢) المصدر السابق ص ٩١ .
(٢٣) محمد انيس وحراز مصدر سابق ص٣٠٤
(٢٤) المصدر السابق ص ١١٦ .
(٢٥) انيس صايغ مصدر سابق ص ١١٢ .
(٢٦) الاستاذ السنة الاولى ٢ يناير ١٨٩٣ .
(٢٧) انيس صايغ مرجع سابق ص ١٩٣ .
(٢٨) محمد انيس الجذور التاريخية لثورة يوليو ص٩٦
(٢٩) عبد القادر ياسين بحث عن موقف الشيوعيين المصريين من القضية الفلسطينية . - غير منشور .
(٣٠) عبد الرحيم مصطفى مصدر سابق ص٦٢
(٣١) انيس صايغ مصدر سابق ص ٢١٠ .
(٣٢) عبد العظيم رمضان مصدر سابق ص ٣٣٧
(٣٣) المصدر السابق ص ٣٣٨ .
(٣٤) الرابطة الشرقية العدد الاول ١٥ اكتوبر ١٩٢٨ .
(٣٥) المصدر السابق .
(٣٦) عبد العظيم رمضان ص ٣٣٨
(٣٧) محمد حسين هيكل مذكرات ج ١ ص ١٠٤
(٣٨) المصدر السابق ص ١٠٥ .
(٣٩) ملحق السياسة الادبى ١٤ اكتوبر ١٩٣٢ - مقال بعنوان (الفكرة الشرقية) .
(٤٠) ملحق السياسة الادبى ١٤ اكتوبر ١٩٣٢ - مقال لعبد الوهاب عزام (واجب الشرقيين اليوم)
(٤١) انيس صايغ مصدر سابق ص ٢٠٢ .
(٤٢) الرابطة العربية ٢ فبراير ١٩٣٨ ص ١٨
(٤٣) ساطع الحصرى فى نشوء الفكرة القومية نقلا عن . محمد انيس ورجب حراز - التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث - ص ٣١٣ .
(٤٤) عبد العظيم رمضان الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ - ١٩٤٨ الوطن العربى - بيروت - ص ٣٤٤ .
(٤٥) عبد القادر ياسين بحث مصر والقضية الفلسطينية . غير منشور ص ٩ .
(٤٦) ذوقان قرقوط تطور الفكرة العربية فى مصر - ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة ١٩٧١ - ص ٢٢٨ .
(٤٧) عبد العظيم رمضان الحركة الوطنية من ١٩٣٧ - ١٩٤٨ ص ٣٤٥ .
(٤٨) ذوقان قرقوط مصدر سابق ص ٢٣٠ .
(٤٩) عيسى السفرى فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية - الجزء الاول .
(٥٠) طارق البشرى الحركة السياسية فى مصر من ١٩٤٥ - ١٩٥٢ . ص ١٢٢ - الكاتب العربى - القاهرة ١٩٧٢ ص ١٣٧ .
(٥١) محمد على الطاهر . ظلام السجون-القاهرة ١٩٣٨ ص .
(٥٢) السياسة الاسبوعية ٧ سبتمبر ١٩٢٩ .
(٥٣) السياسة الاسبوعية ٢٨ سبتمبر ١٩٢٩ .
(٥٤) البلاغ ٢٨ اغسطس ١٩٢٩ .
(٥٥) السياسة اليومية ٥ اكتوبر ١٩٣٠ .
(٥٦) طارق البشرى . مصدر سابق ص ٦٨ و محمد انيس وحراز ص ١٩٤ .
(٥٧) عبد العظيم رمضان مصدر سابق ص ٣٠٠
(٥٨) طارق البشرى مصدر سابق ص ٦٩ .
(٥٩) د . عبد الرحيم مصطفى تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة - القاهرة .
(٦٠) حسن البنا مذكرات الدعوة الداعية - ص ١٤٤ - ١٤٥ د . اسحق الحسينى الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية الحديثة ص ٢٢ .
61. Christine HARIS: Nationalism and Revolution in Egypt - London 1968 - P. 182.
(٦٢) جريدة الاخوان المسلمين ١ جمادى الاولى ١٣٥٢ (١٩٣٣) .
(٦٣) احمد حسن ايعانى - الطبعة الثانية القاهرة ١٩٧١ ص ٦٦ .
(٦٤) عيسى السفر فلسطين بين الانتداب والصهيونية - الجزء الاول ص ١٩٥ .
(٦٥) عبد العظيم رمضان مصدر سابق ص ٣١٢ .
(٦٦) مجلة الاخوان المسلمين فى ٨ ذو القعدة ١٣٥٢ هـ مقال لحسن البنا - بعنوان (قومية الاسلام) .
(٦٧) مجلة الاخوان المسلمين ٢٢ ذى القعدة ١٣٦٢ هـ .
(٦٨) حسن البنا مذكرة الدعوة والداعية - ص ٢٢٢ .
69. Hgibb: Wither Islam - London 1951 - p. 121.
70. Ibid - pp. 106 - 109.
(٧١) د . انيس صايغ الفكرة العربية فى مصر ص ١٩٨ .
(٧٢) مجلة الرابطة العربية العدد الاول ٢٧ مايو ١٩٣٦ .
74. Palestine; a Study of Twish.. op. cit. p. 76.
(٧٣) عبد العظيم رمضان الحركة الوطنية ١٩٣٧ - ص ٣٥٢ .
(٧٥) الهلال ابريل ١٩٣٦ .
(٧٦) انيس صايغ مصدر سابق ص ١٧٣ .